١ مجلد كامل

Orient. Seminar
UNIVERSITÄT
78 Freiburg / Br.
Inv.
Az 14/8

المقتطف

الجزء الأول من المجلد الحادي عشر بعد المئة

١٥ يونيو سنة ١٩٤٧ — ٢٦ رجب سنة ١٣٦٦

مآثر العرب
على الحضارة الحديثة

١ — غلق مدارس أثينا

على كثرة ما وقع في عصر يوستنيانوس من الاحداث فان أعظم هذه الاحداث جميعاً من وجهة النظر العلميّة والاجتماعية ، حدثان : الاول غلق مدارس الفلسفة في أثينا ، والغاء نظام القنصلية الروماني . فان ما خلفت هذه المدارس من الأثر في عالم الفكر وما خلق ذلك النظام من أثر في عالمي السياسة والتشريع ، وما ينطوي وراءهما من تقاليد القرون العديدة ، يجعل لمحوهما تلك القيمة الكبيرة التي نعزوها إليه . وليس لنا أن نتكلم هنا في شأن نظام القنصلية الروماني . ونقتصر على الكلام في غلق مدارس أثينا .

ظلت مدارس أثينا موضع عناية العقلاء والفضلاء من أمراء الرومان ، ومضت مستظلة بحمايتهم أزماناً طويلة . ولقد أسس الامبراطور « هَدْريانوس » في أثينا مكتبة جامعة شيد لها مكاناً خاصًّا وزينه بالصور والتماثيل ، وسقفها برخام الالبستر الجميل ، ولقد أقام ذلك البناء في صورة شرفة واسعة الجنبات يحملها مئة عمود من الرخام الفرُوغي . وخصص الامبراطوران من آل أنطونين مرتبات سخية للقائمين على هذه المدرسة ، فكان مرتب كل أستاذ في السياسة أو الخطابة أو المذهب الافلاطوني أو المذهب المشائي أو الرواقية أو الأبيقورية حوالي عشرة آلاف دراخمة (حوالي ٣٠٠ جنيه مصري) . فلما مات مرقس

أوريليوس أنطونينوس ألغيت هذه المخصصات ثم أعيدت، ثم أنقصت ثم زيدت، بحسب أهواء الامبراطور القائم وبحسب الحالة الاجتماعية والفكرية التي تناوبت الامبراطورية الرومانية. ولقد بلغ حال تلك المدارس من الاضطراب مبلغاً كبيراً في حكم خلفاء قسطنطين

ولقد نعلم أن أسلحة القوط وجيوشهم قد دمرت الجزء الأكبر من عمارية أوربا. ولكن هذه الأسلحة المدمرة كانت أقل أثراً في هدم مدارس أثينا من انتشار دين جديد في جوف الامبراطورية الرومانية. فان رجال النصرانية قد ألغوا العقل وأحلوا محله حكم النقل والايمان المطلق، وألقوا بأولئك الذين اعتبروهم كفرة أو من أهل الشك الى النيران تأكلهم وتذهب بريحهم. وعمدوا فضلاً عن ذلك الى مجلدات ضخام حملوا فيها على كل ما خلق عقل القدماء من آثار الحكمة والعلم يرمونه بالمروق والارتداد والكفر. ذلك بأنهم اعتبروا تلك الآثار من المسممات التي تسمم عقول المؤمنين.

على ان البقية الباقية من الفلاسفة الأفلاطونيين حتى عهد يوستنيانوس، كانوا قد انحدروا عقلياً إلى درجة كبيرة، حتى انهم مزجوا ذلك المذهب الالهي الروحاني بكثير من الخرافات وغلفوه بالأساطير والسحر. وفضلاً عن ذلك فان بقاءهم على وثنيتهم في قلب دنيا نصرانية، قد ولد الشك تلقاءهم في قلوب الحكام والأمراء، حتى لقد ظن انهم قد يعملون سراً على الاضرار بمصالح الدولة.

بعد موت الامبراطور يوليان بقرن كامل دعي «إفروقلوس» ليلقي دروس الفلسفة في الاكاديميا. ولقد بذل في هذه المهمة أقصى الجهد، وأثمر أعظم الثمرات، فتناول في دروسه فلسفة الأخلاق والإلاهيات وما بعد الطبيعة، وكان مما تناوله من البحوث انه وضع ثمانية عشرة قضية منطقية ينقض بها قصة الخلق النصرانية. ولكنه الى جانب هذا كان يدعي القدرة على الاتصال بآلهة وثنية، ويقول علناً انه محيط بالكثير من أسرارهم. وحدث خسوف في أواخر عمره، فكان ذلك عنده نذير باقتراب ساعته، فلما مات جمع بعض تلاميذه كل ما خلفه من أوراق، وكذلك كل ما كتب حواريه «إزيدور»، واحتفظوا بجميع ذلك ليكون للاخلاف من بعدهم دليلاً على ما وصل إليه العقل اليوناني إبان ذلك الزمان من انحطاط وتطوح مع الوهم والأساطير.

غير ان «السلسلة الذهبية»، سلسلة الفلاسفة الافلاطونيين كما كان يدعوهم القدماء، ظلت متصلة أربعين سنة بعد موت «إفروقلوس» حتى أصدر يواستنيانوس أمره الامبراطوري بأن يصمت آخر لسان تحرك بقضية فلسفية في جنبات المدارس في أثينا، والأكاديميا على الأخص.

كان آخر هذه السلسلة سبعة من الفلاسفة جمع بينهم العلم وألفتهم الصداقة هم : ديوجينيس (١) وهرْمياس (٢) وأولاليوس (٣) وإفرِسْقِيان (٤) ودمَسِقيوس (٥) وإزيدور (٦) وسِنفليقيُوس (٧) ، لم يرضوا الارتداد عن دينهم الى دين أميرهم فراحوا يهاجرون الى بلاد أجنبية لعلهم يجدون فيها من الحرية ما أنكره عليهم بنو جلدتهم.

كانوا قد سمعوا ، أو ترامى إليهم زوراً ، إن جمهورية أفلاطون قد طبقت عمليًّا في بلاد فارس ، وأنّ ملكها الحر العالم قد أقام العدل وعضد الفضيلة في تلك البلاد الحرة السعيدة . فلمّا وفدوا إلى بلاط كسرى الذي أشيع عنه أنه فيلسوف وعالم ، ألفُوا أن مفاسد الدنيا التي خلفوها من ورائهم قد سبقتهم إلى بلاد فارس ، وإن دولة كسرى ، لم تكنْ أشرف ولا أفضل ولا أعلم ولا أحكم من عالم الهمج الذي تركوه فراراً من الشرور .

لقد صدمتهم حقائق الحياة الانسانية ، فقضوا أعمارهم في سلام ، وخلفوا الدنيا بغير جلبة ، وانحدروا الى جوف الزمن ومعهم آخر ماخلفت الأقاديميا من الآثار الدنيوية .

وكان ذلك أول اتصالٍ للشرق بعلم الاغارقة الذي نهل منه العرب.

٢ — الحضارة العربية

تفرّد العرب في العصور الوسطى بأن كانوا حفَظَة المدنية والقوّامين عليها . كذلك استطاعوا أن يقاوموا تلك الهمجية التي اجتاحت أوربا وهزتها من الأعماق وزلزل قواعدها الثابتة توالي الهجمات الحربية والمغازي التي شنّها عليها شعوب الشمال . وفي ذلك الوقت ، وفي خلال هذه الفوضى الغامرة ، عكف العرب على ثمرات العقل الاغريقي يحيون منه ما أماتت الهمجية . ذلك بأن العرب لم يقنعوا بما اجتمع لديهم من ثروات العالم الذي دَانَ لسلطانهم ، بل عمدوا الى سبل العلم والمعرفة يفتحون بها ما استغلق من قضايا العقل ، وما استكنّ من أسرار الطبيعة .

إن حروب الغزو التي شنها العرب عقيب انتشار الدعوة ، وهي حروب قلّما تخللها شيء من الانشعابات المدنية ، قد ظلت قائمة خلال القرن الأول من التاريخ الاسلامي متوجة بأعظم الانتصارات . وحتى سنة ٧٦٠ م ، وهي تاريخ سقوط الدولة الأموية ، لم تظهر في حياة العرب بادرة تدل على أن تلك الفترة الحربية ، بما يقع في أمثالها من فوضى وارتجاج ، سوف يعقبها عهد تكون أجلى مظاهره الحضارية ، نهضة عقلية ارتقائية النزعات .

في ظل الدولة العباسية بدأ عهد من الترفّه المدني أخرج العرب من خشونتهم التي

---

(١) Diogenes (٢) Hermias (٣) Eulalius (٤) Priscian (٥) Damaseius (٦) Isidor
(٧) Simplicius

عرفوا بها في العصرين الجاهلي والاسلامي الأول ذلك بأن خلفاء العباسيين قد ظللوا حركة التثقيف بعنايتهم وأمدوها بسلطانهم فأثمرت سراعاً وآتت أشهى أكلها ، فشحنت الأذهان بمختلف المعلومات ، ونقل إلى العربية مؤلفات وكتابات ، كانت أساساً لأخرى قامت عليها واستمدت منها ، حتى أصبحت العربية مصدر الدرس والبحث في الشرق وفي كل مكان استظلّ بسلطة العرب.

وللخليفة العباسي أبو جعفر المنصور يرجع الفضل الأول في حفز الهمم وتنبيه الأذهان الى دراسة العلوم الصحيحة . ولقد ورث العرب نزعة قوية الى علم الفلك ، شأن كل الأمم البدوية التي تعيش تحت سماء صافيـة لامعة النجوم . حفزهم الى ذلك البيئة والضرورة . ولكنهم رغم ذلك لم يكن لهم تقويم زماني يرجعون إليه حوادث أيامهم وحياة رجالهم ودولهم ، وإنما اتخذوا السنة القمرية وسيلة الى معرفة الأشهر ، لما للأشهر عندهم من علاقة ببعض التقاليد والعقائد . ولم يصبح للعرب تقويم يحدد أحداثهم إلا من بدء الهجرة . غير أن ذلك الميراث كان سبباً فيما أبدوا في عصور حضارتهم من حب لعلم الهيئة وعكوف عليه .

قال اسكندر فون همبولد :

« كان العرب بطبعهم ذوي كفاءة لأن يؤدّوا دور الوسيط الأمين في تكييف عصر من عصور الحضارة تأثر به كل الأمم التي عاشت في تلك المنطقة الشاسعة الواقعة بين الفرات والوادي الكبير (في الأندلس) والجزء الجنوبي من وسط افريقية . لقد كان للعرب نشاط لا يبارى دمغ عصراً من عصور التاريخ بطابع ثابت لا يمكن محوه . كذلك كان لهم نزعة تسمحية عريقة في الحرية ، مناقضة تمام المناقضة لنزعة اليهود التعصبية ، فاختلطوا بالشعوب التي غزوها من غير أن تعود بهم الذكرى يوماً الى أنهم الفاتحين أو الى تفوقهم القومي أو الى تقاليدهم التي خلفوها من ورائهم في صحاراهم ، بالرغم من تأثرهم بمختلف البلاد التي غزوها والأراضي التي نشروا عليها سلطانهم . وبينما نرى أن السلالات الجرمانية لم تستطع أن تستوعب اللغة البولندية الاّ بعد زمان طويل من هجرتهم ، فان العرب قد نشروا ، مع دينهم ، لغتهم المتنقلة بتراث خالد من الشعر لم تبل جدّته ولم تتخلخل أصوله ولم تضعف روحه ، حتى بعد أن تجاوبت به أنحاء « بروفانس » في بلاد الاندلس .

٣ — التجارة وأثرها في الثقافة العربية

قلما فطن مؤرخو الفكر العربي الى ما كان للتجارة وانتشار المستعمرات العربية من أثر في الثقافة الاسلامية . فان الامبراطورية التي شادها الخلفاء ، باتساع أرجائها وما حوت من ضروب الفن وصنوف الثروة ، وما أظلت من مختلف الأقاليم والأجيال والأمم ، وما

احتاجت اليه من مختلف النظامات والتشريعات القضائية والادارية ، قد وجهت الفكر العربي نحو صورة من الحضارة لم يعرفها العرب في حدود جزيرتهم الأولى . فان خيرات اسبانيا وشمال أفريقية ومصر والحبشة وشمالي بلاد العرب وفارس والبلاد الحافة ببحر قزوين في جوف أسيا ، وكذلك الهند والصين ، كل ذلك قد تدفق من طريق الاتجار على البلدان والحواضر العربية مثل مكة والمدينة والكوفة والبصرة ودمشق وبغداد والموصل والمدائن ، فأنشأ جميع ذلك من الاتصالات الثقافية ما كان له أكبر الأثر في تنشئة صورة من الحضارة جديدة كل الجدة معقدة كل التعقيد .

لقد نشأت اتصالات تجارية ثقافية بين اسبانيا وحدود آسيا الشرقية . ولم يقتصر الأمر على ذلك فان أسطولاً عربيًّا خرج من بوغاز جبل طارق الى عرض بحر الظلمات فتقاذفته الرياح حتى الجزر الخالدات ، وربما كانت قد تقاذفتهم الى أمريكا ، ولو لم يثبت ذلك ثبوتاً قاطعاً . ولكن الطريق الذي سلكوه الى الجزر الخالدات ، يكاد يكون نفس الطريق الذي سلكه كولمبوس الى أمريكا .

وبالرغم من أن نشاط العرب التجاري قد اقتصر على أنحاء العالم القديم ، فانهم لم يتركوا ناحية من نواحي العمل لم يقتحموها بقوة وبسالة نادرة ، فقد نقلوا خيرات الشرق وبلاد العرب الى اسبانيا وزوّدوها بكل ما احتاجت اليه من ضرورات مصدرها العالم الشرقي ، صناعية كانت أم زراعية . وهاهة ذا يدل دلالة قاطعة على ما بلغ العرب من ثقافة هي من ضرورات ذلك النشاط الكبير .

بلغ عدد الأنفس في طليطلة ٢٠٠،٠٠٠ نسمة وأشبيلية ٣٠٠ر٠٠٠ نسمة في العصر العربي . وكان محيط قرطبة ثماني فراسخ طولاً ، وفيها ٦٠ر٠٠٠ قصر و ٢٣٨ر٠٠٠ منزل . أما طليطلة الآن فلا يتجاوز عدد الأنفس فيها ٢١،٠٠٠ وأشبيلية ١٤٣ر٠٠٠ وقرطبة ٥٦ر٠٠٠ ، فأية حضارة ازدهرت هنالك في ظل العرب ، وأية ثقافة أقامت ذلك الصرح الشامخ

يقول الادريسي وهو الجغرافي المعروف الذي عاش في القرن الحادي عشر وزار اسبانيا ، ان واحدة من مقاطعاتها كان بها أكثر من ٦٠٠ محلة تشتغل بصناعة الحرير .

على أن كل محدثي المؤرخين ليعتقدون الآن أن خروج العرب من اسبانيا أصاب تجارتها بداهية لم تخلص من نتائجها حتى الآن . ولا يبعد أيضاً أن يكون لذلك الحادث أثر آخر في الثقافة العالمية لا يقل عن أثره في الرفاهية المادية . فان الكردينال « إكزيمانس Ximenes » في ساعة من ساعات النحس التي قد تصيب الانسانية ، أصدر أمراً هو الى الهمجية أقرب شيء ، فأحرق في ميادين غرناطة في يوم واحد ٨٤،٠٠٠

مخطوطة عربية في مختلف العلوم والفنون والآداب . هذا في مدينة واحدة ، فما بالك بما حدث في بقية أطراف ذلك العالم الاسباني الفسيح .

٤ — من آثار الحضارة العربية

لقد أثبت منصفو المؤرخين للعرب من الآثار الحضارية بضعة نواح كان لها القدح المعلّى في رفع مستوى الانسان إلى آفاق بعيدة المدى قصية الغايات . وإذا كان من الحق ان العرب لم يكونوا أول من ابتكر بعض هذه الآثار الماديّة ، فلا ينبغي أن ينكر عليهم فضل إنهم كانوا أول من أخرجها من مخابئها وانتزعها من بيئتها ، ونشرها في أنحاء العالم المتحضر . فان هذه الأمة العربية التي نشأت في محيط صحراوي ، لم تكد تخرج من محيطها وتختلط بآثار الحضارة الرومانية ، وهي وريثة الحضارات القديمة ، حتى أكبت على الزراعة والاستقرار في المدن وفي الأودية الخصيبة ، فرفعت من مستوى تلك الصناعة وأضافت اليها من ابتكاراتها ما جعل من العالم العربي جنة متصلة النواحي ، وجعلت من القفار التي خربها الهمج في خلال أربعة قرون ، من القرن الثالث الى السابع الميلادي ، مراعي نضرة ، ومزارع مثمرة وغابات ملتفة وحدائق دانية الثمرات .

على أنهم الى جانب ذلك قد استكشفوا في العالم الموات الذي حفَّ بنهضتهم تلك ، ثمرات حضارية ظلت مقصورة النفع على بيئاتها التي نشأت فيها ، فتناولوها بالتهذيب ، ورفعوا من شأنها، وراحوا ينشرونها أينما حلوا وحيثما كانوا ، وفي جميع الآفاق التي استظلت بحضارتهم المجيدة . من هذه الثمرات الانسانية على كثرتها ، ثلاثة أشياء كان لها أكبر الأثر في رفع مستوى الحضارة في جميع العصور : هي الورق والبوصلة والبارود .

استند بعض المؤرخين على كتابات يغلب إنها مزيفة مدخولة بالتدليس ، تنسب شرف استكشاف هذه الاشياء إلى أهل الصين ، محاولين بذلك أن يسلبوا العرب حقهم التاريخيّ فيها . يقول المنصفون إن الصينيين عرفوا صناعة الطباعة منذ القرن الثامن . غير ان أسماء جوتنبرج وفوست وشوفّر قد انتزعت منهم ذلك الشرف . فاذا كان العرب قد نقلوا عنهم مادّة الورق ، وهي من أخص ما يتصل بالطباعة ، ألا يكون من المعقول أيضاً ان يكونوا قد نقلوا عنهم الطباعة أيضاً ؟ وماذا نقول في الذين يدعون بأنهم أخذوا عنهم البوصلة أيضاً وقد ظل أهل الصين إلى سنة ١٨٥٠ يعتقدون إن في القطب الجنوبيّ اتون ملتهب تتلظى ناره ؟ اما البارود، فإن كان قد ثبت لأهل الصين حقهم التاريخي فيه فانهم لم يستخدموه بنفس الاسلوب الذي استخدمه به العرب .

ولا يفوتنا ان نذكر أنه في حصار مكة سنة ٦٩٠ م . استخدم المحاصرون نوعاً من القنابر ، وان البارود استعمل في مصر في خلال القرن الثالث عشر لرمي قذائف مسافات بعيدة فتحدث صوتاً كأنه الرعد . ولقد ذكر ذلك أيضاً في وصف وقعة بحريّة بين ملك تونس وأمير أشبيليّة في القرن الحادي عشر ، وذكر في القرن الثالث عشر (سنة ١٣٠٨) في حصار جبل طارق ، وسنة ١٣٢٤ في حصار بازّه . كذلك استخدمه الملك اسماعيل ملك غرناطة سنة ١٣٤٠ ، والجزائريون سنة ١٣٤٢ ، ويؤخذ من وصف أهل فِرّارة ان القنابر كانت تقذف بالبارود.

ولقد نقل أهل أوربا هذا الاستكشاف عند احتكاكهم بالعرب ، وأخذت جيوشهم تستخدم المدافع . ولو ان أهل أوربا هم الذين وصلوا الى هذا الكشف ، اذن لعثرنا في آثارهم على أقوال أو اشارات تدل على الخطوات التي تدرج فيها عندهم وتاريخ هذه الخطوات . ولكن الأمر على العكس من ذلك . فانك مهما استعمقت في بحث تاريخ العصر الذي استخدم فيه أهل أوربا هذه المادة ، فانك لا تعثر على أثر من تاريخ نشوئها عندهم . ومع هذا يحاول بعض المؤرخين نسبتها إلى أهل أوربا ، بالرغم من ان العرب استخدموها منذ نهاية القرن السابع الميلادي .

أمّا البوصلة فليس هناك أي دليل تاريخيّ على أن أهل الصين قد استخدموها في الملاحة . في حين يتصل بنا أنّ العرب أخذوا يستعملونها منذ القرن الحادي عشر الميلادي لا في الملاحة البحرية فحسب ، بل في سياحات القوافل عبر الصحراوات ، وفي تعيين سمت القبلة لتعيين اتجاه مكة تعييناً دقيقاً .

وكذلك كان الأمر في الورق . فعند منتصف القرن السابع الميلادي (٦٥٠ م) كان ورق الحرير من منسوجات سمرقند وبُخارى . وفي سنة ٧٠٦ م فكر يوسف المَكّيّ في أن يستبدل الحرير بالقطن في صناعة الورق ، فأخرج بذلك الورق الدمشقي الذي وصفه مؤرخو الأغارقة . وفي إسبانيا شاعت صناعة الورق من الكتان والقنّب وشيدت لصناعته المعامل الواسعة ، وتنافست في اخراج مختلف أنواعه وضروبه كثير من المدن الاسبانية وفي مقدمتهم بلنسية . وفي القرن الثالث عشر استخدم الورق العربي في قَشطالة ، ومن ثمّ انتقل الى فرنسا وإيطاليا وانجلترا والمانيا ، وما يشهد للعرب بمهارتهم في هذه الصناعة ، كشهادة مخطوطاتهم القديمة وقد خلفوها في ورق صقيل متين مُزيّنة بضروب من الزخرفة هي موضع إعجاب العالم الى الآن .

فلا عجب إذن إذا نزع منصفو المؤرخين في العصر الحديث الى الاعتراف بفضل العرب

وفضل ثقافتهم على جميع المرافق الحضارية التي هي أعظم مظاهر المدنيـة الغربية . فانه في خلال الفترة الواقعـة بين القرنين التاسع والخامس عشر ، لم تخط الحضارة الغربية خطوة واحدة نحو الأمام إلاّ بفضل ميراثهم عن العرب ، سواء أفي الناحيـة المادّية ، أم الناحية الثقافية، كالفنون والعمارة والهندسة والآداب والعلوم .

٥ — تأثير الحضارة العربية في مدنية الغرب

كتب العـالم بايلي إلى فولتير الفيلسوف الفرنسي عبارة لا تزال تروى ويتناقلها المؤرخون فقال :

« إن الأمم الأوربية بعـد أن هاخت في أحضان المسيحيـة ، قد عادت فاستنارت بغزوات العرب والاتصال بالأغارقة » .

أما المتفق عليه بين ثقاتِ المؤرخين فهو أن أثر العرب في تنوير أوروبـا ،كان أمكن وأثبت من أثر الأغارقة . ومن الدّلائل القاطعة على ذلك أن العرب هم الذين أحيوا في أوربا فلسفة الأغارقة وآدابهم وفنونهم ، وأعادوا الى العالم الحديث ذكر رجال من عظماء اليونان نسيت أسماؤهم وعفّى الزمن على آثارهم .

ولا خلاف مطلقاً بين المؤرخين في أن العرب هم الذين تبنـّوا الحضارة الأغريقيـة فترجموا عنها الى العربية جلة الآثار الثقافية التي وصلت يدهم إليها في مختلف فروع المعرفة الانسانية . ولم يقفوا عند ذلك بل شرحوها وأضافوا إليها وعلـّقوا وحشـّوا من عندياتهم عليها ، فأورثوا الحضارة الحديثة أشهى ثمراتها العقلية والفنيـّة ، وكانوا بحق آباءً كراماً ، لورثة عاملين ، حفزهم ما رأوا في الآثار التي نقلت إليهم، الى البحث عن الأصول التي ترجم عنها العرب ، وما أن عثروا عليها حتى أكبّ عليهـا دارسون استعانوا بالصبر على تفهم آداب هوميروس وفلسفة أفلاطون وارسطوطاليس وغيرهم من عظماء العالم الأغريقي القديم . ولقد قال المؤرخ « هايد » قولة حق إذ قضى : « بأنّ أكثر ما خلف الفكر اليوناني من الآثار العقلية التي عثرنا عليها في مخلفاتهم ، قد وصلت إلينا أول شيء عن الأمة العربية » .

لقد نقل العرب الى أنحاء أوربا ثمرات العقل الاغريقي ، قبل أن يبدأ الدارسون في أوربا التفقه في درس اللغة اليونانية في أواسط القرن الرابع عشر (١٣٦٠ م) وكان ذلك بمدينة فلورنسا أول شيء ، ثم بعد أن تفرق فقهاء اليونانية في أنحاء أوربا الشرقية بعد سقوط القسطنطينية في يد محمد الفاتح (١٤٥٣م) . ولا شك مطلقاً في أن كثيراً من الـكتب

الاغريقية ، وبخاصة في العلوم ، قد نقلت أول ما نقلت الى اللاطينية عن المؤلفات والترجمات العربية .

أضف إلى ذلك أن كثيراً من المؤلفات الاغريقية الثمينة ، لم يعرف لها أصل إلاّ مما كتب العرب . ولنضرب لذلك مثلاً . ففي العلوم الرياضية نقل العرب كتاب العالم الهندسي منلاوس الاسكندري في « المستديرات » ، وترجموه بعنوان « كتاب الاكر » ، ومن ثمت نقل الى اللاطينية ، ولولاهم لما عرف له أصل ، ولا ثبت خبر . كذلك هم نقلوا الى العربية كتباً ثمانية وضعها العالم افولونيوس الفرغاوي في « القطوع المخروطية » ، نقل منها ابراهام الماروني (١٦٦١ م) الكتاب الخامس والسادس عن مخطوطة عربية في مكتبة آل مديتشي في فلورنسا . ولولاهم لما استطاع الأطباء إكمال تعليق جالينوس على مقالة ابقراط في الأوبئة ، إذ عثر على الترجمة العربية في الأسكوريال ، ولما استطاع العلماء أن يعرفوا شيئاً عن مقالة ارسطوطاليس في الأحجار ، لولا الترجمة العربية المحفوظة في المكتبة الأهلية بباريس .

إذا تتبَّعنا تاريخ المعرفة الانسانية ، وعرفنا أن أثر الثقافة الاغريقية قد امتد في الاسكندرية إلى ما بعد الطور الروماني ، لما استطعنا أن ننكر أن العرب هم الذين ظلوا قوّامين على كنز الثقافة فتعهدوه ونمّوه منذ العصر الاغريقي الى عصر النهضة .

يقول المؤرخ الفرنسي مسيو « ليبرى » : إنَّ العرب اذا استحقوا التمجيد ، فانما يستحقونه لأنهم ظلوا حفظة الثقافة الأغريقية والهندية طوال عصور كفّت خلالها بقية الشعوب عن أن تنتج شيئاً ، وكانت أوربا ما تزال في جهالتها ، عاجزة عن أن تحمل الأمانة الثمينة . على أنك اذا أودَيت بالعرب من صفحة التاريخ ، إذن لتأخرت النهضة في أوربا بضعة قرون » . — ولا شك في أن مسيو ليبرى كان يصبح أقرب الى الحق اذا قال أن تلك النهضة ربما كانت قد اتجهت اتجاهاً آخر غير اتجاهها المعروف ، بل ربما كانت قد ضلَّت السبيل القويم .

* * *

وفي مجال العلم خاصة بَزَّ العرب سابقيهم الرومان ، فكانوا بحق ورثة العالم الأغريقي . أضف إلى ذلك أن العرب لم يقفوا عند عظماء الأغارقة مثل أفلاطون وارسطو وأبقراط وديوسقوريدس واقليدس وبطلميوس ، بل إنهم أكبوا على جماع الثقافة الأغريقية فنقلوا عن شعراء وخطباء وسفسطائيين ، لا ينبغي أن يقوم لهم ذكر الى جانب هؤلاء ، وفي ذلك دليل على أن نهمتهم للعلم والمعرفة لم تكن تعرف حدوداً ، ولا تقف عند غرض جَلَّ أو ذَلَّ .

٦ – الفلسفة الكلامية

عرفت هذه الفلسفة في أوربا « بالفلسفة المدرسية » : Scholasticism ، وهي في الواقع صورة محوّرة من فلسفة الكلام عند العرب .

نعرف أن العرب عكفوا على درس فلسفة المشائين ، أرسطو وأصحابه ، أكثر شيء ، ومن عكوفهم على درس هذه الفلسفة قد ولّدوا فلسفة الكلام في اللاّهوت الاسلامي . ولقد يرجع تصوير هذه الفلسفة وتحديد قسماتها الى الجدل الخلافي الذي قام بين الواقعيين والإسميين من فلاسفة العرب ، وكان الأولون يجرون على مذهب ابن سينا ، والآخيرون يجرون على مذهب ابن رشد .

ولقد حقّق المؤرخ الفرنسي « هورو » أن الكندي فيلسوف العرب ، كان المرجع الذي اعتمد عليه الاسكندر الهاليسّي وهنري الغنتي والقديس بونا ڤنتورا ، بينما اعتمد وليم الأوڤرني من تعريفات الفارابي وحدوده ، كما استمد منها فنسنت بوڤيه والبرت ماغنوس (الكبير) . ومما يدل على أن فلسفة الكلام العربية قد أثّرت في اللاهوت النصراني حقيقة ، أنّ وليم الأوڤرني كان يفضّل العرب على الأغارقة . لأن الأغارقة فلاسفة أكثر منهم لاهوتيين ، والعرب لاهوتيون أكثر منهم فلاسفة . ذلك بالضرورة على قدر ميوله وبمقتضى نزعته .

على أننا اذا كنا نعتقد اليوم أن فلسفة الكلام ، سواء أعند العرب أم عند الأوربيين ، قد كانت من المباحث العقيمة ، فإنها قد أخرجت للبشرية بضعة مفكرين أحرار ، منهم المعتزلة عند العرب ، وقد ضاعت آثارهم أو تبددت ، ومنهم يوحنا اسقوطس أرغينا ، وبرنجاريوس وإبيلارد ، ووليم أوكام ، وتبعهم وليم هس وساڤونارولا ولوثر وبرونو وكامپانلاّ .

بعد أن وضع العرب يدهم المجدّدة على كل ما خلف الأغارقة من ثمار المعرفة والحكمة ، فنمّوها وأوسعوا من آفاقها في جميع النواحي ، أسلموا بجماع ذلك إلى أوربا . وكانت إسبانيا أول بقعة أوربية تلقت عنهم . في القرن العاشر ، ذلك العصر الذي يمثل أقتم دورات الظلام في أوربا ، تراكمت في إسبانيا ، على ما يقول المؤرخ « هلّر » كل الثمرات الانسانية ، فنمت فيها الدراسات العليا التي رفضها جميع العالم الانساني وأشاح عنها ، حتى في القسطنطينية منذ عصر ليون الأيزوريّ (٧١٧ م) .

وفي الحق أنه منذ القرن العاشر الميلادي أخذ الفكر الأوربي في إسبانيا يتجه نحو سمت آخر. فإذ ذاك ترجم يوحنا الأشبيلي الكتاب المقدس الى العربية، وقام الفارو (Alfar) القرطبي يلوم بني جلدته على إنهم تركوا لغتهم وشريعتهم الى لغة العرب وشريعتهم، فأخذ الفكر الأوربي في إسبانيا ينمو ويكبر ويشب عن الطوق فظهر هنالك أيطون أسقف ڤيش ولوبيت البرشلوني، ورجل يقال له يوسف علَّم أدلبير و رئيس أساقفة ريمس، وكلهم برَّز في الرياضيات والفلك أخذاً عن العرب وآثار العرب.

٧ — العلوم الرياضية

أمّ اسبانيا في عصر ازدهارها بالثقافة العربية، أولئك الذين تعطشوا للعلم وأمضّهم حب المعرفة. كان من أولئك دارسٌ كبير النفس كبير العقل يدعى غِرْبَرط (ولد في أوڤرني حوالي سنة ٩٣٠، وانتخب بابا سنة ٩٩٩ باسم سلڤستر الثاني وتوفي سنة ١٠٠٣ م.) ولقد عرف بمخاطراته وعلمه وأدبه وما تحمل من المشاق في سبيل العلم وتحصيل المعرفة، فدرس في مدارس فرنسا وايطاليا والمانيا من غير أن يقع على مبتغاه من العلم ومن غير أن يجد فيها ما يشبع نهمته الشديدة للمعرفة، فهبط اسبانيا حيث وجد ضالته من العلوم الطبيعية والرياضيَّة، فنقل منها الى فرنسا وايطاليا والمانيا قدراً كان موضع اعجاب العلماء والمتعلمين ونشره في الأوساط العلميَّة فكان منهلها العذب وموردها الدافق. على أن روح ذلك العصر لم يكن ليترك رجلاً مثل غربرط من غير أن يدمغه بأسطورة أو يحوطه بخرافة، فقال بعضهم ان هذا الرجل قد حالفَ الشيطان.

* * *

ينسب إلى غربرط إنه أول من أدخل الأرقام العربية الى تلك البلاد وانه أضاف الى الجبر والحساب بضعة مبادىء من وضعه. ويقول المؤرخون انه أول من ركب ساعة تقيس الزمن.

على ان بعض المؤرخين يحاولون أن ينتقصوا الأثر العربي في ثقافة غربرط، فيقول بعضهم إنه لم يذهب الى قرطبة أو اشبيلية، وهما من مراكز الثقافة العربية الكبرى، بل اقتصر على زيارة لمقاطعة قطالونيا طوّف فيها بأنحاء ذلك الصقع طويلاً، فان ذلك كله لم يحل بين المؤرخين ان يثبتوا انه مدين بكل معرفته للعرب، وان معرفته الفذة التي كانت موضع اعجاب معاصريه، لا يمكن بل لا يتسنى أن يكون لها مصدر، على ما يقول الثقة الثبت

« وليم أوف ملمسبُوري » غير العرب وانها برمتها منقولة عنهم نقلاً لا تحوير فيه .

ان المثل الذي ضربه غربرط لأهل أوربا كان فذّاً فائق الأثر ، فراحت جماعات من المتعلمين يؤمون المنهل الذي استسق منه . وكان منهم هرمَنوس كونترا كتوس الألماني (المتوفي سنة ١٠٥٤ م) مؤلف كتاب « تأليف البوصلة » ، والانجليزي أدلارد (حوالي ١١٣٠ م) الذي ترجم اقليدس عن العربية ، والايطالي كومپانا نوڤارا الذي نشر « نظرية السيارات » ومنهم دانيل موولي ، واوتو الفريزنجي ، وهرمن الألماني وافلاطون التيڤولي . أما جرارد الكريموني فقد ترجم في طليطلة نفسها كتاب الخازن وترجم عن ابن سينا والرازي وأبي القاسم والمجسطي لبطليموس ، لا عن الاغريقية ، ولكن عن العربية . ولقد جمع جيرارد من علوم العرب في طليطلة كل ما وصل الى يده في الرياضيات والطبيعة والفلك ، وحملها الى أهل أوربا . وفيه يقول مؤرخ ان جيرارد عاش في طليطلة وفيها لمع نجمه .

* * *

يقول المؤرخ مونتُوكلاَ : كان العرب حفظة المعرفة والى نشاطهم التجاري ندين بأول أشعة من النور لمعت في سماء القرن الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر . ثم يقول :

في خلال ذلك العصر استمد كل الذين برزوا في الرياضيات من العرب وعلوم العرب ونشئوا في احضانهم .

ومن الثابت ان كل الذين كتبوا من الأوربيين في العلوم المحضة قبل القرن الخامس عشر لم يأتوا بجديد لم يكن يعرفه العرب ، بل انهم نقلوا عن العرب نقلاً ، وقليلاً ما أضافوا إلى ما نقلوا . على ذلك كان ليوناردو داپيزا الايطالي ، وڤيتلّيُو البولندي ، وريموند لالي الاسباني ، وروجر باكون الانجليزي ، ثم أرفو ده ڤيلانيف الفرنسي ، الذي ينسب إليه انه استكشف كحول الخمر وزيت التربنتين وغيرهما من المركبات الكيميائية .

وكان كل ما في أوربا في ذلك العهد من علم الجغرافية قاصراً على ما قال به الادريسي من تقسيم الكرة سبعة أقاليم ، وفي القرن السابع عشر عند ما حقق أبو اسحاق ابراهيم بن يحيي بعض الأخطاء الجغرافية ونشرها ، اضطر ابراهام هنكلمان الى أن يقول : « إن أكثر ما نحن مدينون به من الفضل والتنور ، وما يدين به أخلافنا ، إنما يرجع الى العربية » .

على أن الزيج المعروف الذي ينسب الى الفونسو العاشر وكذلك ما ينسب اليه من كلام في الأفلاك والكرات ، إنما هو عبارة عن مجمل مما خلف العرب في علم الهيئة . لقد استمد هذا الملك الذي نعته أهل زمانه « بالعاقل » كل معرفته عن العرب ، ولقد تقدمت على يده

العلوم بما استقى عن أولئك الأعراب فكان من حلقات الوصل بين نظام بطلميوس الفلكي وكوبرنيكوس. على ان الثابت أن الزيج الالفونسي إنما هو استمداد من مختلف الأزياج الفلكية التي خلفها العرب بلا أقل شبهة.

عند ما أراد لويس الرابع عشر أن يقيس الدرجة الأرضية على خط الزوال ليعرف بذلك حجم الأرض، لم يكن يعرف أن الخليفة المأمون قد قام بنفس ذلك العمل قبل خمسة قرون في بغداد.

* * *

يقول بايلي: ان أول خطوة اتخذت في القرون الوسطى نحو احياء العلوم كانت ترجمة كتاب الفرغاني في « مبادىء الهيئة ». أما الربي الاسباني « ابن عزرا » وقد نعت حيناً بالكبير ثم بالعاقل ثم بالباهر تقديراً لعلمه واعترافاً بما لكتابه « الكرة » من القيمة العلمية فقد ولد في طليطلة سنة ١١١٩م. وكان من الآخذين عن العرب في علم الهيئة ولقد نشر علم أساتذته الذين تلقى عنهم في أنحاء أوربا. وعن البتاني، أكثر مما كان عن بطلميوس، استمد العالم ساكروبوسكو (المعروف باسم يوحنا الهلوودي) مواد كتابه في «الكرات». وعنه نقل المعلق يوهان مولر، الذي علق على كتابات روجيو مونتانوس الفلكي العظيم، أول ما عرف في العلم الأوربي عن مماسات محيط الدائرة. وعن الخازن أخذ كبلر فكرة الانكسار الجوي. وربما رجع الى العرب الفضل الذي استحقه نيوتن بكشفه عن نظام تجاذب الأجرام، أكثر من رجوعه الى سقوط التفاحة في بستان. فلا ينبغي للمؤرخ أن ينسى أن فيما كتب محمد ابن موسى (١) شيئاً عن حركة الأجرام السماوية وشيئاً عن قوة الجذب. وفي ذلك ما يكفي.

* * *

٨ — علم الطب

إن تأثير العرب في كل فروع العلوم الطبيعية ومنها العلوم الكيميائية والطبية، لا يقل ثباتاً في التاريخ الانساني، منه في العلوم الرياضية. ولقد كان روجر باكون وريموند لالي

---

(١) ترجمت كتب محمد بن موسى ونشرت في مجموعة لاطينية معروفة باسم :
Bibliot. arab. Philosophorum

من تلاميذهم في علم الكيمياء ، وكانوا يسمونه « الصناعة الكبرى » ، كما كانا من تلاميذهم في علم العدد والحساب .

ولقد أخذ عنهم ألبرت ماغنوس فلسفة ارسطوطاليس وكان يدعى البرتوس ، وهو البرخت جروتوس أو جروس ، وقد ولد في سوابيا سنة ١١٩٣ ، وهو من الانسيكلوبيذيين المعروفين ، ومعلم القديس توماس اكوينوس أو توما الاكويني الذي سماه أهل زمانه ، كما سموا غربرط من قبل « بالساحر » .

وبعد سنة ١٦٠٠ ميلادية استطاع عالم نابه اسمه « فابريقيوس أكوابندنته » أن يقول في مؤلف له : « يرجع كل علمي إلى ثلاثة رجال سلوس من اللاتين ، وبولص الاجانيطي من الأفارقة ، وأبو القاسم من العرب » .

في عالم السماء برز البتاني . وفي عالم الأرض برز الادريسي . أما في عالم الطب فقد برز ابن سينا وابن رشد . وظلَّ أثر هؤلاء قائماً في عالم المعرفة ستة قرون حتى انتهاء القرن السادس عشر الميلادي . على أن أثر ابن سينا في عالم المعرفة لم ينته بحلول القرن السابع عشر . فانه في القرن التاسع عشر نفسه ، ظهرت تعليقات على مؤلفاته في لوفان ومونبلييه في فرنسا .

ولقد اعترف بأثر العرب في هذا العلم كل كبار المؤرخين مثل بورهاف وهالّر ، ويقول بروكر : « حتى حلول عصر النهضة العلمية ، ظل ابن سينا ، لا في دوائر العرب فحسب بل في دوائر أوربا المسيحية ، الحاكم بأمره في عالم العقل » . وفي أوائل القرن الثالث عشر نقل الدكتور البرتغالي بدروجوان الذي كان رئيس أساقفة « براغا » ثم بابا باسم يوحنا الحادي والعشرين ، عن العرب كتابه المسمى « كنز المساكين » أو « دواء جميع الأمراض » ، ومقالته في « الصحة » ، ومقالته في « تكوين الانسان » ، حيث احتذاهم ولم ينحرف عنهم قيد شعرة .

ومن اسبانيا خرج جميع أطباء أوربا اطلاقاً ، وعنهم انتشر حب العلم الصرف وذاعت فوائده .

يقول هالر : ان الأطباء الاسبانيين في أثناء ذلك العصر الذي كان بنو جلدتهم يستردون من العرب أرض اسبانيا شيئاً بعد شيء ، استطاعوا أن ينقلوا الى أهل ايطاليا حب الآداب والعلوم » . وفي اسبانيا درس الأطباء اليهود الذين عرفوا في أنحاء أوربا بتبريزهم في صناعة شفاء الامراض ، ومن ثمة نقلوا ثمرات العلم الى جوف أوربا . ولقد اتخذ الملوك والبابوات

أطباءهم من اليهود . ومن الأمثلة على ذلك أن طبيب الفونسو المقاتل ملك أراجون وإسمه بدرو الفونسو ، كان يهوديًّا فاستنصر . وكذلك بولس ريفيوس طبيب الامبراطور مكسمليان الاول ، كان يهوديًّا وظل كذلك ، وقد درس في اسبانيا حيث ترجم كتاب أبو القاسم وهو كتاب قال فيه « هالر » انه «النبع العام» في صناعة الطب

وقد انحدر الينا ان العرب أجروا كثيراً من العمليات الجراحية لم يكن يعرفها القدماء كما أضافوا الى الصيدلة بضعة مركبات كيماوية ذات أثر كبير في تقدم ذلك العلم .

* * *

إذا أغضينا عن ذلك كله ، قام عندنا دليل آخر على ما كان للعرب في علم الطب من أثر ورثته أوربا ، في أن جامعة « سالرنو » التي انتشرت براعمها في جميع انحاء أوربا ، إنما يرجع انشاؤها الى العرب .

يقول مؤرخ : عند ما استردْ روبرت جسكارد النورماني (سنة ١٠٠٠ م) مدينة سالرنو من القوم الذين يقال لهم العرب الذين احتلوا جنوبي إيطاليا أكثر من قرنين من الزمان ، وجد هنالك مدرسة تعلم الطب أسسها أولئك الكفّار . ولقد دلته حكمته على أن يحتفظ بها وأن يؤيدها بالمال والنفوذ وجعل رئاستها لرجل يدعى قسطنطين أفريقانوس (أي الافريقي) ، وكان من بربر قرطاجة أوقعته أسفاره ومخاطراته ، كالادريسي ، في يد النورمانيين بصقلية . وقد ألبسه قلنسوة الرهبان في دير جبل كسّينو الراهب المشهور دسيدَرْيُوس الذي صار فيما بعد البابا فيكتور الثالث .وعند أوبته ترجم الى اللاطيفية كل ما وقع اليه من كتب بني جلدته في صناعة التطبيب ، ثم ختم أعماله بتأسيس مدرسة سالرنو الطبية واليه يرجع الفضل في وضع كل المبادىء السالرنية في الطب وعنه أخذت.

وكذلك جامعة مونبلييه الفرنسية . فانها تعود في أصلها الى أهل أراجون (سنة ١٢٠٠ أو حوالي ذلك) الذين أخذوا عن العرب . ففضل ما نقل اليها من العلم يعود الى العرب بطريق غير مباشر . ولقد كان العرب معلمو ذلك الزمان غير منازعين .

اسماعيل مظهر

الوردة

قد حفّها الشوك محتدّا ومحتدماً   تخالها أملاً مستشعراً ألما
وما اقتنت شوكها يوماً لتجعله   جنداً ، كما زعمته الناس ، أو خدما
ولا لتجعل من أوراقها صحفاً   تخط فيها ، ومن أشواكها قلما
وإنما هي أرحام قد اتصلت   ووردة الروض ليست تقطع الرحما
لبّت ولم يدعُها داع ، وكم رجل   أرحامه قد دعته فادّعى الصمما
رقيقة ، لو أجاب الله لي طلباً   منها لقلت استحيلي في فمي كلِما
لم أدر هل سال في أوراقها شفقٌ   أم أودع الله في أوراقها ضرما ؟
أم الندى وعبير النيل ما بلغا   مدى صداها فاسقاها الربيع دَما ؟
أم نوديتْ هي والشوك الملم بها   أن مَثّلا الشهوة الحمراء والندما ؟
أميرةُ الروض ، لكن لا تصانُ ولا   يحمى لها في إمارات الرياض حمى
يا غصنها فيم تدنيها لقاطفها ؟   لا شك في أن كلاًّ منكما ظلما
قل لي بربك : هل أدنيتها عبثاً ؟   أم خيفةً ، أم وفاءً منك ، أم كرما ؟
لو أنني غصنها ما كنت أسلمها   إلى « ابن آدم » مهما اعتزّ واعتزما
بل كنت أنأى بها في الجوّ متهماً   هذا الذي قد مشى في الأرض ملتهما

شاعر البرارى

المدرسة المثلى

والتعليم الذاتي

المدرسة المثلى هي المدرسة التي لا يمكث فيها الزائر بضع دقائق حتى يشعر بأن محيطها مختلف جدّ الاختلاف عن باقي المدارس في الغاية والنتيجة: فغايتها أسمى من غايات باقي المدارس، ونتائجها أرق، فهي لا تعمل للامتحان أو الاعتزاز بالظواهر. وفي هذه المدرسة عدد كبير من الطلاّب وعدد كافٍ من المعلمين وبها ملعب وحديقة، ومسرح ومكتبة.

أول خصائص هـذه المدرسة منظر الطلاب ونشاطهم، وعلى وجوههم نضرة النعيم، بعيدين عن الكسل والخمول. فإن مقتبل العمر هو سنّ الحركة والنشاط، كما تجده حواليك في الطبيعة. إذن فمصـدر الخمول هو المعلم الممل: ويقاس الفرق بين طالبين في ذلك، بنسبة مقدرتهما على تحمل الملل الذي يعرض لهما في المدرسة بسبب عقم طرق التعليم، فالطالب الذي يتحمل أكثر من غيره يكون نشيطاً، والطالب الذي لا يتحمل يكون خاملاً.

الخصّيصة الثانية: هي حركة الطلاب الدائمة خلافاً للسكون المعتاد في المدارس الأخرى التي يُرى فيها الطُّلاّب ينهكون قواهم في مزاولة أشياء متعبة، كالأصغاء المتقطع بالتثاؤب لسماع درس التاريخ أو الجغرافيا أو العلوم أو غيرها من الدروس، أو ينجزون عملاً لا قيمة له كحل مسائل رياضية ميكانيكية أو الرسم عن نماذج أو نسخ قطع الإنشـاء عن اللوح الأسود. أما في هذه المدرسة فكل طالب مشغول بشيء يهتم به، ويجهد نفسه لفهمه أو حلّهِ، وفي هذا حفظ لنشاطه وتجديد لسروره، — ألم يقل أرسطو إنّ النشاط الحر المطلق عامل ضروري في السعادة والسرور؟

والخصيصة الثالثة: أنّ ما يجري في هذه المدرسة جميعه يعبر عن النفس — فالطفل ماثل وراء ما يعمله، وتلمح دائماً شخصيته في مداركها وتعابيرها من مخارج عدة، وهي متنوعة وكثيرة وميسرة كل التيسير في هذه المدرسة المثلى فمنها: —

أولاً — المحادثة : وتكون بالتعبير الحر عن النفس وإبداء الرأي وطرح الأسئلة والمناظرة

ثانياً — الانشاء الخطي بأنواعه ، ويكون باختصار الدروس بلغة الطالب وانتقاء الملاحظات، ووصف الطبيعة ، وكتابة قصص قصيرة ، وتحويل الشعر الى النثر ، والنثر إلى الشعر

ثالثاً — القراءة الجهرية ، وهي التلاوة على الجمهور بصوت عال ، فيقرأ الطالب بفهم وروية على باقي الطلاب كأنه المعلم ، وترى الطلاب يصغون له بشوق ولذة .

رابعاً — الالقاء — ويشمل إلقاء القصائد المختارة والقطع النثرية والأمثال السائرة والنوادر والملح والفكاهات .

خامساً — الغناء ويكون بإنشاد القطع الشعرية القديمة والحديثة .

سادساً — الرقص التمثيلي ويكون بتمثيل روايات قصيرة بحركات فنّية منسجمة .

سابعاً — الرقص البدوي وهو عبارة عن الدبكة وغيرها .

ثامناً — التمثيل ويكون بتمثيل بعض الروايات الشعرية أو النثرية ، ويكون بتمثيل بعض الدروس كالتاريخ والجغرافيا وحتى الحساب .

تاسعاً — الرسم بقلم الرصاص أو الطباشير الملوّن أو الزيت .

عاشراً — العمل اليدوي .

الحادي عشر — البستنة: وهي درس الحياة النباتية والدّواجن وهي درس حياة الحيوان .

الثاني عشر — النجارة ومجالها واسع في صنع الأشياء النافعة الضرورية كالرفوف والمكاتب والخزائن والكراسي والمناضد والمقاعد .

الثالث عشر — الطهي وهو خاص بمدارس البنات .

الرابع عشر — الخياطة والتطريز وشغل الإبرة والصوف وهذه أيضاً خاصة بمدارس الإناث.

ففي هذه الأعمال وما شاكلها يقف الطفل غير هياب ولا وجل ، ويظهر نفسه وينطق مداركه الكامنة ، فيندثر أثر التدليس من أعماله ويخلص في انجازها ، وأما المعلمون فعليهم أن يساعدوا الطلاب على تهذيب أنفسهم بأنفسهم فيقدمون لهم أشياء ثلاثة لا رابع لها :— الرغبة والارشاد والمادّة ، وعلى الطلاب البقية من الجد والعمل والاعتماد على النفس — فهذا طريق غير ذي عوج ، وهذا هو الطريق المستقيم فمن سلكه اهتدى وكان النجاح حليفه .

أساس هذه المدرسة التعليم الذاتي أو تعليم النفس بالنفس : وهو أساس متين لا تنهار دعائمه ، وهو ما يعوز مدارسنا في المدن والقرى . وأعمال هـذه المدرسة تدل على أن النمو يأتي من الداخل ولا يمكن أن يوضع من الخارج ، وان النفس تنمو داخليًا وبواسطة نموها تتسع قوى المدارك وتتجلى قوة التعبير ، وعلى هـذا يكون واجب المعلم أولاً وآخراً : أن يشجع النمو — أي التعبير الذاتي .

لنفصل القول الآن في كيفية أو طريقة تدريس بعض المواضيع في هذه المدرسة المثلى :
يُدرس التـاريخ بواسطة التمثيل ، فاذا ما مرَّ الطلاب بحادث مهم يمكن تمثيله يشرعون في ذلك بلا تردد فيراجعون الكتب والحكايات التاريخية والمراجع الاخرى حتى إذا ما ملكوا ناصية الموضـوع بدأوا في نسج الرواية واعداد الثيـاب وغير ذلك . ثم يمثلون المشهد والمعلمون يشجعونهم ويشوّقونهم ويرشدونهم ويساعدونهم واخوانهم الباقون ممن لم يشتركوا في التمثيل ينظرون إلى المشهد وكتبهم أمامهم ، ومن وقت لآخر يصفقون استحساناً لما يبديه زملاؤهم ، وعلى هذا يفهم جميع الطلاب الدرس بشوق ونشاط زائدين ، وإذا طلب المعلم من فرقة أخرى أن تمثل درساً ما فلا تتأخر ، فالكل مستعد للقيـام بما يطلب منه : ففي مثل هذه الحال نجد لدرس التاريخ تأثيراً كبيراً على الطلاب ، كما انه يعود عليهم بالنفع العظيم إذ تمكث الحقائق التاريخية ماثلة أمامهم . وأما في مدارسنا الحاضرة فالحقائق التي ينقلها الطالب مملة لأنه يصرف ساعاته الطوال في سماع المعلم يتلو أخبار الأولين والآخرين ، فتدخل هـذه الأخبار من أذن وتخرج من الأخرى : وما أشد تلذذ الطالب بالدرس الذي يمثل أمامه ! وما أروع ما يفهم من روحه ، وما يدرك من حقائقه ! على أن التمثيل يدرّب قوتين كامنتين في الطلاب : وهما التخيل والحنان .

درس العلوم درس بارز في هـذه المدرسة ، فاذا ما أعطي الطلاب درساً عن موضوع كورق الشجر ، يأتي كل طالب بأوراق تساعده على دراسته ، وما على المعلم إلاَّ أن يطلب من كل طالب ان يلاحظ الورقة ، ثم يخبر المعلم عن ملاحظاته ، فنجد الطلاب يظهرون قواهم الكامنة من حيث الطبيعـة ، ويتدرَّج معهم المعلم في الدرس بالسؤال والجواب حتى يصل الطلاب إلى نتيجة مرضية ، فيحيطون علماً بمعرفتها وتقوى قوة الملاحظة فيهم . وهنـاك

جولات للطلاب والمعلمين في الحقول والحدائق والبساتين يقيد فيها كل طالب ما يلاحظه في دفتر خاص ، ويرسم الرسوم للايضاح ، وفوق كل ذلك يطلب المعلمون من الطلاب أن يفتشوا عن أشعار تصف الأشياء الجميلة التي يدرسونها في درس العلوم ، وهكذا يصبح درس العلوم أميل الى إنماء العاطفة بحياة الغير ودرس الطبيعة أكثر منه إلى حشو الدماغ. وبالجملة إلى الاعجاب بكل ما هو حسن وجميل ، وسأتحدث لكم على ذكر الاعجاب عن درس الرسم وأهميته في هذه المدرسة فأقول : —

إن ابراز النتائج الظاهرة أمرٌ لا يُهتم به في هذه المدرسة ، وقد يوجد ذلك ضرورة في الرسم لأن الفنان ينظر إلى النتائج المرسومة ، ومنها يقرأ أفكار الطفل الروحية الداخلية : وقد فحص أحد الفنانين عمل الطلاب في هذه المدرسة فوجده جيداً جداً ، مع ان المعلمين لا يعرفون الرسم كما يجب ، وقد تعلمه الطلاب من أنفسهم فمهروا فيه . واليكم تقرير الفنان الذي زار هذه المدرسة : « لقد وصل الرسم في هذه المدرسة إلى أرقى درجة ممكنة لأن النتائج تعبر عن آراء الطلاب أنفسهم ولم تستعمل النماذج للرسم في هذه المدرسة ، فالطلاب يختارون نماذجهم بأنفسهم ويعتمدون على مداركهم ولا يبالون بالخطأ كما يُرى في غيرها من المدارس فكل طالب ينتقد نفسه بنفسه » ، وقد قال لي مدير المدرسة ما يأتي : « أعطيت كل طالب ورقة من شجر ما وقلت لهم : انعموا النظر فيها . ثم تحدثنا عن خصائصها حيناً ، وبعد ذلك طلبت منهم رسمها ، ولما فحصت النتائج وجدت فيها خطأً كثيراً ، فلم أقل للطلاب أخطأتم ولم أذهب الى اللوح الأسود لأبين الخطأ ، بل قلت : هل رسمكم في هذا القسم مثل الورق ؟ فقالوا : لا . فقلت : إذن ما هو الفرق ؟ فوجدنا الفرق ثم قلت : وكيف يمكنكم أن تغيروه ليصبح مثل الورقة نفسها ؟ وهكذا الى أن وصلنا الى النتيجة المطلوبة ، وبذا جعلت الطلاب يلاحظون خطأهم بأنفسهم ولم أبينه لهم . وأشار الفنان بعد فحص رسوم الطلاب الى انه وجدهم يعرفون كيف يستعملون الألوان ، وأنهم تدربوا على ذلك من أنفسهم ، وان المعلمين أخبروه أن بعضهم يذهبون الى ضفة النهر ليشاهدوا المناظر الجميلة فتثير فيهم الشعور بالجمال ، فلا يجدون طريقاً أقرب للتعبير عن ذلك الا برسمها : فهل من برهان أوضح على على أن تعليم النفس بالنفس هو الطريق الى النجاح » .

هذا شيء عن التدريب العقلي في هذه المدرسة ، ولكن نفس الطفل لا يمكن أن تقسم الى أقسام : فتدريب عقل الطفل يؤثر على نموه الخلقي .

ولقد مضى وقت كان يعطي فيه للمدرسة منحة خاصة على حسن النظام فيها ، وكان المفتشون يكتبون التقارير المفصلة عن ذلك ، فهذا أمرٌ غريب عجيب في تفسيرِ غاية التربية والتعليم ، وإذا أردنا أن نكتب تقريراً عن نظام هذه المدرسة فيكون باختصار ، اذ لا نظام للمدرسة ، ولا حاجة اليها به لأن حب الطالب لمعلميه ولمدرسته يوثق عرى النظام والمحبة ولا يترك له مجالاً للتفكير في الخبائث ومخالفة النظام ، وحيثما توجد المحبة والاخلاص ، فلا مجال للخبث والغش ، ولا المراآة والخديعة لأن القوى المضغوط عليها هي التي تنفجر الى أعمال خبيثة حتى إذا لم تسير في طريق الخير والمحبة ، المحبة في هذه المدرسة نور ساطع والسرور انعكاسه : حدث يوماً أن كان معلم في المستشفى ، ومرض معلمان ، وتأخر بقية المعلمين والمدير لسبب ما نصف ساعة ، فأصبحت المدرسة خالية من المعلمين وعند ما وصل المدير الى المدرسة وجد الطلاب جالسين في صفوفهم يؤدون فروضهم حسب جدول الدروس كما لو كان معلمهم الى جانبهم ، وناب بعض الطلاب الكبار في الصفوف الصغيرة عن معلميهم ، واهتموا بها فكانت المدرسة سائرة بهدوء ونظام : من هذا الحادث تبين أن التعليم الذاتي يحمل معه الآداب ، والنظام المدرسي ، وإذا كان لا لزوم للقصاص في هذه المدرسة ، فانه لا حاجة للمكافأة أيضاً لأن كل طالب يجد سروره في عمله ، وفخره في مدرسته ، واحترامه في معلميه . ولا يسعى ليبرّز على رفيقه .

إن التعليم عدوُّ الإنانية ، وغايته كما قلنا مساعدة النمو ، فهدفنا إذن أن نساعد الفرد على أن يتعدّى محيط فرديته ويهرب من نفسه الصغيرة : تدخل الأشياء التي تحيط بنا إلى أنفسنا وتصبح ملكاً لنا عن طريق المدارك الشعورية ، وبوساطة المدارك التعبيرية نخرج من أنفسنا إلى الأشياء التي تحيط بنا ، وهذان العاملان هما المظهران البارزان في التعليم الذاتي — فالتعليم الذاتي يوسع النفس ، ثم يسعى في نسيانها ، ويظهر حس الشعور الأخوي ، وأخيراً يوصلنا إلى السعادة الأبدية — الى مقت الأنانية : هذا ما يقوم به التعليم في هذه المدرسة المثلى ، وكل طالب فيها سعيد بنفسه ، لا يهتم أن يتفوّق على غيره ، أو ينال جائزة ،

لأنهم لا يحبون أن يجعلوا من غيرهم مطايا لهم : ومن برز منهم في درس أو أمر ساعد إخوانه المقصرين ليرتقي عمل مجموع الصف في كل درس أو شيء .

المتأخرون في دروسهم لا تثبط عزائمهم بتقصيرهم ، والمتقدمون في دروسهم لا يفاخرون بتقدمهم ! فمن المقصر الى المتقدم تجد كلاً جاداً في عمله مسروراً به . وحبّذا نفحة من هذه المدرسة تهب على مدارسنا فتنسي الطلاب حب النفس والغرور ، لأن حسن الأدب في المعاملة هو الغاية القصوى من تعلم الفضائل . فاذا أصبح محيط المدرسة بروح الوداد والإيثار ، والأخلاق الجيدة ، والخصال الحميدة بين الطلاب من نفسهم ، ساد اللطف بينهم ، وهو في حدّ ذاته إنكار الذات والاهتمام بالآخرين في جميع أعمالنا الاجتماعية .

يرى الزائر لهذه المدرسة التأهيل والترحيب به من كل فرد فيها كأنه صديق حميم ، أو رفيق كريم ، فهم يظهرون له كل لطف واعتناء ، وليس في ذلك تكلف لأنهم تدربوا عليه فأصبح مغروساً في طباعهم — أي أصبح طبيعة ثانية ، وإذا جاء هذه المدرسة مفتش تجتمع الطلاّب حوله يداعبونه بكل احترام وإعزاز ، ولا يني أو يتأخر الطلاّب الكبار عن مصافحته والسير معه أو تشييعه الى باب المدرسة

ومن مظاهر هذه المدرسة التي انفردت بها حب الجمال ، فيتجوّل الطلاب في البراري والحقول ، في الحدائق والبساتين ، مصطحبين دفاتر الرسم ، يرسمون فيها ما يناسب ذوقهم ، وما هو جميل في أعينهم . ومن أخبار هذه المدرسة أن طالباً في يوم من أيام الشتاء كان جالساً في غرفته فأطلّت الشمس عليه من وراء السحب ، فهبّ من فراشه وأخذ قلمه ودفتر رسمه ، ورسم هذا المنظر الجميل ، فكان حس الطفل في التعبير عن المنظر السماوي عجيباً ، وكانت اللوحة آية في الابداع .

وأما الرّقص البدوي أو الريفي والغناء في هذه المدرسة فحدّث عنها ولا حرج ، لأنهما الظاهرة الخارجية لما تكنه بواطن الطلاب ، وهما دليلا السرور والفرح ، وابتهاج النفس والمرح : وترى الطلاّب في غدوهم ورواحهم في الأرياف والجبال ينظمون الحلقات ويشرعون بالرقص والغناء ، وإذا وجدوا أولاداً صغاراً في طريقهم أخذوهم من أيديهم ودرّبوهم على ذلك وأدخلوا السرور الى نفوسهم .

وإذا مثّل طلاب هذه المدرسة رواية فلا يتدرّبون على تمثيلها كثيراً ، وذلك لأنهم أخرجوها بأنفسهم فتكون نتيجة التمثيل جيدة يعجب لها الحاضرون : وصفوة القول أن هذه المدرسة فريدة في بابها عزيزة على طلاّبها يتعلمون فيها من أنفسهم تحت ارشاد معلميهم ويجيدون ما يتعلمونه لأن الدافع إليه من الداخل .

ما هي المبادىء التي نتعلمها من هذه المدرسة ؟ إن تلك المبادىء كثيرة منها : —

أولاً — إن التعليم الحقيقي هو تعليم النفس بنفسها — أي التعليم الذاتي — وهو يحتاج لإظهار مكنونات النفس بانتظام . فمنذ ٢٥٠٠ عام علّم ارسطو — أكبر معلم رآه العالم — مريديه إن طريق الخلاص يكون في سلوك سبيل نمو النفس . يقدر علماء التربية والتعليم أن يضعوا المبادىء الكثيرة ، ولكنهم لا يمكنهم أن يتقدموا خطوة واحدة عمّا في هذه الحقيقة . فالنمو حيث الحياة ، وجوهر النمو هو الاتساع الداخلي ، فجميع ما يوصل الى الكمال أصيل في كل إنسان وما عليه إلاّ أن يتحقق ذلك في نفسه ويسعى اليه .

إن فلسفة التربية والتعليم العملية موجودة فيما تقدم من هذه النظريات ، فما دمنا نتردد في الاعتقاد بصدقها والإيمان بحقائقها ، نكون قد أسأنا الى أنفسنا برعاية النتائج والظواهر الخارجية ، وجهلنا ما هو سر الحياة والنمو . إنه لمن السهل أن نعتقد بمبدإ التعليم الذاتي ونؤمن به ، غير انه من الصعب أن نتمثل معناه الداخلي والخفي .

إن الحلقات التي يقدر بها نمو كل شجرة من سنة لأخرى هي ذلك الاتساع الداخلي لتلك الشجرة ، وهو موجود في داخلها . نحن نفكر دائماً بشأن التعليم ، ونحن نسن نظاماً له وقوانين ونقيد غيرنا بقواعد كلية وارشادات عامة ، ظانين ان حلقات نمو النفس تأتي من الخارج — إن هذا إلاّ وهمٌ وتضليل ، وغش للنفس ليس بالقليل .

إذا فرضنا ان المبادىء التي تسير عليها هذه المدرسة المثلى صحيحة فكيف يمكننا أن نعمل بها ؟ السر في السكان لا في المكان ، السر في المعلمين لا في المتعلمين . فهل معلمو هذه المدرسة قد نزلوا من السماء ، وقد انطبعت شخصيتهم على المدرسة فجعلتها مدرسة مثلى : وأمثال هؤلاء المعلمين كثير بين المعلمين في جميع المدارس ، إذن كيف نكوّن مثل هذه المدرسة المثلى ؟ هذا سؤال عويص أقدر ان أجيب عليه بما يأتي : —

١ — إنني لا أظن ان معلمي هذه المدرسة قد نزلوا من السماء حقًّا ، أما ان لهم شخصية ممتازة ومغناطيسية، فذلك مما لا ريب فيه ، إذ ان هذه القوى المغناطيسية كامنة في كل واحد منا ، وأما ان لهؤلاء المعلمين مواهب طبيعية فذلك مما لا مرية فيه أيضاً — فالشخصية البارزة والموهبة الطبيعية قد كوّنتا هؤلاء المعلمين فأصبحوا مُثلاً عليا للارشاد والتعليم الذاتي . ولقد أسعد الحظ هؤلاء المعلمين فأوجدهم في مكان لائق لاخراج الكوامن ، واتباع الطريق التي اختطوها فأوجدوا مدرسة مثلى — مدرسة نموذجية — سينقل عنها العالم بأسره ، وسيكون لها شأن عظيم في كل اقليم ، وستنتشر مبادؤها في القريب العاجل ، وقد شرعت المدارس الابتدائية في بلاد الانكليز باتباع تعاليمها والسير بموجبها ، وقد سرت العدوى منها إلى أكثر المدارس — وطرق التعليم كالمرض تسري بالعدوى ، فاذا أصبح التعليم الذاتي وحده متبعاً في جميع مدارسنا تمت الفائدة المنشودة ، وحصل المطلوب ، ولكن ما الذي يقف حجر عثرة في تغيير النظام الحالي في التعليم ؟ إنه ليس الامتحانات والنتائج الخارجية فقط ، بل الأصول المتبعة نفسها — إن الاتجاه نحو التغيير المطلوب هو ما تسعى وراءه البلاد المتمدنة بعد هذه الحرب التي لم تبق ولم تذر ، والتي دكت معالم وحصوناً ، ودرست تعاليماً وأصولاً ولكن مهما أتقنّا أو أكملنا أحوالنا جاءت معقدة عقيمة لأن هنالك نزاعاً قديماً في نفس كل انسان — نزاعاً بين الجمود والحياة . قد نظن أن ايجاد أنظمة وقواعد للتربية والتعليم ممكن نظريًا ولكن الحقيقة غير ذلك ، فيغلب أن يقوم الواحد منا بعمل غيره عن طريق التدخل : وأضرب مثالاً لذلك بأن نجد المفتشين يتدخلون أحياناً في شؤون المديرين ، والمديرين يتدخلون في شؤون المعلمين ، فيرتب المفتشون المناهج ، ويقررون ساعات العمل حتى انهم ينظمون جداول ترتيب الدروس ، وكذلك يعينون العمل والمادة التي يجب أن تدرس في كل فصل . واما المعلمون فيَجدُّون حتى لا يدعون للطلاب مجالاً يعملون فيه شيئاً من أنفسهم ، بل هم رقباء عليهم ، وعلى هذا يصبح المرء مساعداً ومسيراً في جميع أعماله ، فيتعطل الاعتماد على النفس وتقضى على آثار الاستقلال الذاتي كما وجدنا فيما تقدم وهو ان المدارس تسعى وراء الظواهر واتمام المناهج والامتحانات والعلامات وتحضير الدروس : قلنا ان الأعمال الآلية قد أخذت تخاف الأعمال النفسية ، وقلنا

أن مظاهر التعليم الخارجية التي استولت على المدارس حتى أصبحت الغاية المقصودة التي يجري وراءها المفتش والمدير والمعلم والتلميذ هي اجتياز في الامتحان والحصول على العلامات الجيدة ، بينما نجد النمو الداخلي في الطلاب وهو الضالة المنشودة -- مهملاً كل الاهمال ولا يعتد به ، بل يقيد بالحركات والأعمال الآلية أي الميكانيكية . والذي هو أدهى من هذا وأمرّ أن المعلمين الذين تخرّجوا كالآلة المسيرة سيخرجون طلاباً مثلهم مضطرين مسيرين في حياتهم . فالأمل ضئيل والطريق مظلم والخلاص صعب ومستمر إلاّ إذا مشينا مشية الليث ، وسعينا المسعى الحثيث ، سعي الجاد المشمر ، ونظرنا إلى المستقبل نظرة المتفائل وقلنا : إن غداً لناظره قريب ، ولولا الأمل لبطل العمل .

نأمل أن تتلاشى موجة الفحوص الجارفة في الصفوف الابتدائية وتنجلي عن الطلاب أوضارها لأن ليس أضر على نفوس الطلاب الصغار من تعرضهم للامتحانات وهولها — هذه الآفة التي لا بد منها والتي هي شر في حد ذاتها .

لقد تقرر أخيراً في البلاد المتمدنة اعفاء الطلاب الصغار من الامتحانات ومن شبحها المخيف الذي يلازم الطالب الصغير وعما قريب سوف يتقرر اعفاء طلاب المدارس الابتدائية منها الاّ في السنة السابعة وهي الأخيرة من سني دراستهم في المدارس الابتدائية — فهذا يبشر بالنجاح الباهر وبالأمل الزاهر . إننا نرغب أن يفسح المجال للمعلم الغيور النشيط في عمله ليخطو الى الامام بقدم ثابتة وعزيمة قوية وراء غايته المنشودة . ولن يأتي التقدم في التربيـة والتعليم بعد اليوم من المراقبـة الشديدة ، وما مصدره الاّ المدارس التي يتلألأ فيهـا نور الحقيقـة — نور التعليم الحقيقي أو الذاتي — وإن بعد الفجر صبحاً ، وان بعد العسر يسراً .

اذا أردنا أن تكون مدارسنا مبعث النور الهادي في ظلمات هذه الحياة المطبقة ، وجب علينا أن نترك المعلمين وشأنهم — أن ندعهم يخطون خطواتهم الواسعـة ، ويسيرون في طريقهم المعبد الذي سيؤدي الى النجاح ان شاء الله . ستقولون إن رحلاتي لأوربا لا سيما لانكلترا وزياراتي لمدارسها في المدن والقرى وشهودي التدريب والدرس وتخصصي في التربية والتعليم وفي الـكشافة والرياضة البدنية واللغة الانكليزية ، قد جعلتني متشائماً

أنعي على بلادي ما أجده فيها من الأساليب السقيمة والطرق القديمة . كلاّ . فقد صيرتني هذه الرحلات والاختبارات متفائلاً أكثر من ذي قبل . فلقد تعلمت من المدارس الكثيرة التي زرتها أن في كل معلم وطفل قوّى كامنة ، وانه من السهل ابراز هذه القوى فيهما واستخدامها . فالتفاؤل لا التشاؤم هو ما يحدو المرء لرفع مستوى المقدرة أو المعرفة البشرية ، وان موجة واحدة من الفكر والسرور قد ترتفع بنا إلى أوج العلياء ، على أنه يجب ألاّ نقنط إذا تأخر مجيؤها أو إن لم تعم على طول الساحل ، وهذه الموجة وإن تأخرت آتية لا ريب في مجيئها ، وستتدرّج بالتدفق الينا حتى تشمل الساحل وتطم على الداخل ، وانى متفائل جد التفاؤل ، والتفاؤل يفعم قلبي والأمل يزيدني وثوقاً في أن نفوس المعلمين والمطبوعين المخلوقين ستدأب وتتعب ، وتسعى وترغب :

والنفس راغبة إذا رغبتها   وإذا ترد الى قليل تقنع

لا شك في أن النفوس المستبشرة ستسير بالطلابَ الى حيث النشاط والسرور ، الى حيث السعادة والحبور ، ما دمنا نعلم أن التعليم اليوم هو غيره بالأمس ، وأن ما يتعلمه الطالب من نفسه هو الذي يثبت وينفع ، وهو الذي يفيد ويمتع ، وهو الذي يجلب الخير ويمهد الطريق ويجعل الحياة لذيذة والعيش رغداً والتعليم سهلا .

إذا اقتنع كل معلم بأنه صاحب رسالة أخلص في عمله مهما ضؤلت عمالته ، ومهما ساءت حالته ، لانه قبل أن يكون نبراساً وأن يكون الشمعة التي تحرق نفسها لتضيء على غيرها ، وأخذ دائماً وأبداً يردد : فأما الزبدُ فيذهبُ جفاء ، وأمّا ما ينفعُ الناسَ فيمكثُ في الأرض .

مسكين المعلم المخلص فانّ مثله كمثل النبي صاحب الرسالة يلاقي ما لاقى من العذاب ، ولكن يجب أن يصبر ويتحمل كل أذى ، فلقد أجاد المرحوم شوقي طيب الله ثراه حيث قال:

قم للمعلم وفه التبجيلا   كاد المعلم أن يكون رسولا
أعلمت أشرف أو أجل من الذي   يبني وينشئ أنفساً وعقولا

يا أرض مذ فقد المعلم نفسه   بين الشموس وبين شرقك حيلا

فيأيها المعلمون المخلصون ! يأيها المعلمون الحقيقيون ! أصبروا وصابروا ، ولا تقنطوا من رحمة الله ، فالله بكل شيء عليم ، وسيأتي اليوم الذي يقدر فيه عملكم ، وترفع درجتكم الى المقام اللائق بكم ، وليس ذلك اليوم ببعيد ، وليس ذلك بعزيز على الجامعة العربية التي ستعمل على توحيد الثقافة في جميع الأقطار العربية ، والله من وراء القصد ، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه.

يافا — فلسطين

شريف النشاشيبي

الحمامة الطائشة

ضربت بقادمة الجناح ضحىً   صدر الفضاء وحلَّقت صعدا
فكأنها في الجو حين علت   نتف الغمام تناثرت بددا
ويخالها من راح يرصدها   إذ حوَّمت في الأفق سهم ردى
والريح تدفعها وتقذفها   قذف السفين تلاطم الزبدا
إن أسرعت أبصرت عاصفة   في جنح ليل جاش مطردا
وإذا ونت خطرت كغانية   راحت تجر مطارفاً جُدُدا
نشرت جناحيها كمروحةٍ   والذيل لم ينفك منعقدا
وترف حيناً بالجناح كما   رفَّ الشراع مصفقاً غردا
أو كالخزامى حين باكرها   من ريِّق الأصباح صوب ندى

* * *

درجت تباري الريح غافلة   عما أعدَّ لها القضاء غدا
والريح كالثكلى اذا ادركت   ولداً فراحت تندب الولدا
والسحب في الآفاق حائرة   كفراشة درجت بدون هدى
أو كالسقيمْ اذا تملكه   من يأسه ما استنفد الجلدا
والليل — جياشاً ومضطرباً —   بحرٌ طغا أو خافقٌ وجدا

وحمامة الأيك المهتوف على   غرب الرياح كتائهٍ شردا
القت لداعي الجهل طائعة   لما دعا بزمامها فندا
ومضت وراء الغي عاكفة   لا تستبين النصح والرشدا

***

هل أنت غير حمامة نزحت   عن دوحة تطوي الفضاء سدى
قدمتِ للأحلام طائعة   قلباً وأعطيت الهوى جسدا
ووهبتِ ثغرك غير آثمة   للحب حين بكِ الغرام حدا
فتفتح الصدر اللجوج ضحى   عن برعم النهدين مرتعدا
لم تمسكي عن لذةٍ عرضت   كفّ البخيل وما قبضت يدا
تجرين خلف هواك تائهة   عجلى كمأموم اذا وخدا
عيناك متعبتان من صور   لهواجس لا تنتهي أبدا
أمل يكاد يشع بارقه   في طرفك الوسنان متقدا
ومطامع في الصدر من ظمإٍ   كالنار كادت تحرق الكبدا

***

بدمي وروحي طيش من درجتْ   كفراشة تطوي الفضاء سدى
إني لأهوى كل طائشة   ضلت وقد نزحت عن أيكها الجددا

دمشق   عدنان مردم بك

الحرب تؤدي الى الحرب

كل حرب ناتجة من حرب أو حروب سابقة ومؤدية الى حرب مستقبلة ما دامت المنافسة سنة العمران وما دامت الأمم تختلف في مقدار قوتها وبأسها ونظامها ، وأوضح ما تكون هذه الحقيقة في الحروب العالمية الكبيرة التي تخلف مشكلات واسعة النطاق ولكنها تصدق أيضاً في الحروب الصغيرة . وإن خفيت وغمضت أحياناً . وقد تكون تأدية الحرب الى الحرب بطريقة غير مقصودة وبعيدة عن أغراضها . أو قد تكون بطريقة متصلة بأسبابها . فاذا نظرنا في تاريخ مصر الحديث وجدنا أن واقعة التل الكبير كانت منذرة بواقعة أم درمان وبأطماع إيطاليا في الصومال والحبشة وحروبها فيها .

وإذا رجعنا الى عهد الخديوي اسماعيل باشا وجدنا أن الحرب الداخلية في الولايات المتحدة في أمريكا الشمالية كان لها أثر في مصر فان انقطاع ورود القطن الخام من الولايات الجنوبية إلى مصانع انجلترة بسبب محاصرة أسطول الشمال لها أدى إلى الإكثار من زراعته في مصر والى ارتفاع ثمنه ارتفاعاً كبيراً أغرى الحكومة والشعب بالانفاق عن سعة . فلما انتهت تلك الحرب هبطت الأثمان وكان كثير من الناس يظنون أن هبوط الثمن هبوطاً كبيراً إنما هو أمر مؤقت وإنه سيعود الى الارتفاع وهذا مثل ما زعم الناس في أعقاب الحرب العالمية الأولى التي أدت إلى إفلاس كثيرين لاعتمادهم على عودة ارتفاع ثمن القطن بعد هبوطه ولم يصدقوا أنه هبوط دائم . وهذا الانفاق عن سعة كانت له أسباب أخرى منها توقع إزدياد ثروة مصر زيادة كبيرة بسبب فتح قناة السويس لمرور تجارة العالم بين الشرق والغرب بها وربما كان سبب هذه الفكرة ما كان يذيعه المروجون لفتحها ، وأيضاً القياس على ثروة سلاطين المماليك وهو قياس لا يصح ، أولاً ـ لأن تلك الثروة كانت من الضرائب الكبيرة التي كانت تفرض على تجارة المرور وليس للدولة مثلها في قناة السويس .

وثانياً ـ انه لما كانت الصناعات يدوية في ذلك العصر كانت تقع على طريق مرور التجارة وتنتفع بها وتنفع الدولة والأمة . ومن أسباب الانفاق عن سعة أيضاً تعجل ثمرات الإصلاح والإعتماد عليهـا قبل أوان حلولها ، وارتفاع ثمن القطن بسبب تلك الحرب الداخلية كان من الأسباب . وهـذا الإنفاق عن سعة أدَّى إلى تداخل الدُّول ثم بحلقات متصلة إلى الثورة العرابيَّة . وإذا نظرنا الى حروب محمد علي باشا وجدنا أيضاً حرباً منها تؤدي الى حرب .

وإذا بحثنا تاريخ الولايات المتحدة وجدناه يسير على هـذه القاعدة فحرب السنوات السبع التي نشبت بين انجلترة وفرنسا وأدَّت الى انتقال كندا من فرنسا إلى انجلترة أشعرت سكان المستعمرات الانجليزية في الولايات المتحدة الأمان بسبب زوال الخطر عليهم من ناحيـة مستعمرات فرنسا . واستشعارهم الأمان أدَّى الى نقد خطة انجلترة الاستعمارية نحوهم وإلى السخط من أوجه الأثرة فيها ولا سيما احتكارها الصناعة والتجارة فـكان ذلك هو السبب الحقيقي لحرب استقلال الولايات المتحدة . وإن كان السبب الظاهر تشبثَ الحـكومة الانجليزية بضريبة دخلها قليل ولـكن النزاع كان على المبدأ . فحرب السنوات السبع مهَّدت لحرب استقلال الولايات المتحدة وهذه الحرب الأخيرة مهدت للحرب الداخلية لأنَّ هذا الاستقلال أدَّى الى اعتماد الولايات الشمالية منهـا على صناعاتها وتجارتها بدل الاعتماد على الصناعات الإنجليزية وكان لتلك الولايات ميزات صناعية . ولـكن الصناعة الناشئة فيها كانت تحتاج الى حماية ، فكان همّ تلك الولايات فرض الضرائب على الصناعات الأجنبية لحماية مصنوعاتها من منافستها وأن لا تفرض على المزروعات كي تقل نفقات الصناعة ولم يكن يهمها أمر الرقيق ولم تكن في حاجة إليه لأن الجو يناسب العمال البيض . أما الولايات الجنوبيـة فكانت على عكس ذلك يهمها رخص المصنوعات الأجنبية وحماية مزروعاتها بالضرائب على المزروعات الآتية من الخارج . وكان يهمها بقاء تجارة الرقيق وزيادة الولايات المعتنقة لمبدأ تجارة الرقيق بين الولايات الجديدة . ولما كانت الولايات الشمالية صارت أكثر ازدحاماً بالسكان البيض فقد كثر عدد نوابهـا وخشيت الولايات الجنوبية سيطرة الولايات الشماليـة فقرَّرت حقها في الانفصال عن الوحدة ولو فازت هـذه النظرية التي تعطي الولاية حق الانفصال لتجزأت الولايات المتحدة ولم يكن لها أثر في سياسة العالم .

ومن أجل ذلك قاتل أهل الشمال لحماية الاتحاد وصيانة الاتحاد أدّى إلى تعاظم الولايات المتحدة والى اهترا كها في حروب آخرها الحرب العالمية الثانية. وإذا رجعنا الفكر الى العالم القديم رأينا أن حرب فرنسا وبروسيا سنة ١٨٧٠ وحرب تركيا والروسيا سنة ١٨٧٧ — ١٨٧٨ هيئتا أسباب الحرب العالمية الأولى. ففي الحرب الفرنسية البروسية سنة ١٨٧٠ انتزعت بروسيا الالزاس واللورين من فرنسا وأخذت منها غرامة كبيرة ساعدتها في نمو شأنها. وأدّت الحرب الى تأسيس الامبراطورية الألمانية الحديثة وصارت هذه الامبراطورية تدفع بالدول الى ميدان الاستعمار لأسباب كثيرة منها تصريف الزائد من مصنوعاتها التي زادت زيادة كبيرة لم يكن لها مثيل في ماضي تاريخها ومنها الرغبة في إيجاد مأوى لمن يهاجر من سكانها. ومنها أن تشغل فرنسا بالإستعمار عن التفكير في استعادة الالزاس واللورين، ومنها محاولة إيقاع الدول المستعمرة في نزاع كي تكون المانيا حكماً بينها. وكل هذه الأمور هيأت الحالة النفسية والمادّية التي أدّت إلى الحرب العالمية الأولى وإن كانت شعلتها اشتعلت في البلقان بسبب جريمة سيراجيفو عندما قتل بعض الشبان من صقالبة الجنوب المؤتمرين في الصرب الغراندوق فردناند ولي عهد النمسا وزوجه. ثم أن نيل صقالبة الجنوب مآربهم من تركيا بحربي ١٨٧٧ و ١٩١٢ كان منذراً بحرب أخرى بينهم وبين النمسا لتحرير المقاطعات النمسوية والمجرية التي يسكنها الصقالبة. فالحرب العالمية الأولى ناتجة من حروب سابقة حسب القاعدة العامة.

وإذا نظرنا الى الحرب العالمية الأولى والى عواقبها رأينا أنها لم تمح مشكلات العالم بل زادتها وهيأت أسباب الحرب العالمية الثانية لأن الحرب العالمية الأولى زادت مشكلة الشعوب الألمانية وخلقت مشكلات في بحر البلطيق وأواسط أوربا والبلقان وأدت بحلقات متصلة إلى البلشفية والفاشستية والنازية وخلقت بين ما خلقت مشكلة الممر البولوني الذي أشعل نار الحرب العالمية الثانية وان كانت أسبابها متعددة ناشئة من كل ما خلفت الحرب الأولى من مشكلات.

وإذا ما رجعنا إلى ما قبل حرب فرنسا وبروسيا سنة ١٨٧٠ رأينا ان هذه القاعدة تصدق أيضاً أي ان كل حرب تؤدي إلى الحرب فإن حرب فرنسا وبروسيا سنة ١٨٧٠ كان ظاهر

سببها ترشيح أحد أمراء أسرة الهوهنزلرن التي كانت تحكم بروسيا كي يكون ملكاً لاسبانيا فرأت فرنسا في ذلك تهديداً لها ولسلامتها من ناحيتين فرفض هذا الأمير العرش الاسباني وكان هذا يكفي لتهدئة فرنسا ولكنها أبت إلاّ أن تذل بروسيا بأن تتعهد لها هذه إن مثل ذلك لا يحدث في المستقبل فإن مثل هذا التعهد لا قيمة له إلاّ ارادة اثارة نزاع جديد. وكان بسمارك السياسي البروسي يرى ان المانيا لا يتم اتحادها إلاّ إذا قهرت فرنسا وأبعدت عن نهر الرين لأن فرنسا كانت لها أطماع في الدول الرينية. وقد نشر بسمارك الوثائق الكتابية التي تثبت ذلك فكان هذا مما أدى إلى امتعاض الدول من فرنسا ووقوفها موقف الحياد عندما هزمها الألمان واطماع فرنسا في الأراضي الرينية ظهرت أيضاً في عهد نابليون وفي عهد الدركتوار وفي الثورة الفرنسية . وقبل ذاك في عهد لويس الرابع عشر الملك البوربوني. وقد فقدت فرنسا كل ما غزته أيام الثورة الفرنسية وأيام نابليون ولكنها لم تفقد الاراضي الرينية التي استولت عليها أيام البوربون. ومن أجل ذلك قال بسمارك لبعض الساسة الفرنسيين « نحن إنما نحارب لويس الرابع عشر » وهذا دليل قاطع ان حروب لويس الرابع عشر بذرت بذور حرب ١٨٧٠ .

ويطول المقال إذا تتبعنا الحروب واحدة بعد واحدة ورأينا كيف تصدق هذه القاعدة فيها فنرى أن كل حرب تؤدي الى حرب في المستقبل .

ولكن بعض المفكرين يقولون ان الحرب العالمية الثانية تختلف عن الحروب السابقة (أولاً) بسبب كشف سر القنبلة الذرية. و (ثانياً) لوجود هيئة الامم ومجلس الامن العام. أما هيئة الأمم فلا أراها تختلف اختلافاً كبيراً عن عصبة الأمم في الجوهر . وأما القنبلة الذرية فإنها قد لا تمنع الحروب لأسباب (أولاً) ان الأبحاث الذرية تقوم بها الآن دول كثيرة وليس من المستطاع الإشراف على كل بقعة في العالم لمنع صناعة القنابل الذرية . (ثانياً) إذا عرفت دول متعددة سر هذه القنبلة فمن الجائز ان تحدث حرب لا تستخدم فيها كما لم يستخدم غاز الخردل في الحرب الثانية في أوربا (ثالثاً) على فرض إنها استخدمت فمن الجائز أن يكون أثرها في قصر مدة الحرب أكثر من أثرها في القتل والتدمير وإن كان عظيماً . ففي الحروب الماضية كان الملايين من الناس يتوتون في حرب أو عدة حروب بينها فترات استجمام ولكن أسبابها

لا تتغير ، فكانت مدة الحرب أو الحروب المتصلة الأسباب أطول ولكن الهلاك فيها أو بعدها بسبب المجاعات أو الأوبئة أو بسبب قتل الأسرى أو تعذيبهم أو اهمالهم أو استعبادهم لا يقل كثيراً من الهلاك في الحروب الحديثة السريعة . والتخريب قديماً وان ضعفت أدواته كان تخريباً شاملاً حتى ان بعض الغزاة كان يقال عنهم ان النبات لا ينبت في أرض دمرتها جنودهم فكانوا يدمرون المدن ويقتلعون النبات والأشجار ويبذرون الملح في الأرض أو يسقونها بماء مالح كي لا تنبت شيئاً . ومن المعروف ان بقاعاً كانت عامرة هي الآن قليلة السكان والعمران بسبب تلك الحروب أو كانت الحروب من بعض أسباب خرابها أو تأخرها . ويبالغ أهل العصور الحديثة في زعمهم إنهم أرق إحساساً من أهل العصور السابقة وإنهم بسبب ذلك سينتهون عن الحروب وعن القتل والتدمير . فاذا قسنا رقة الشعور بالنزعات الانسانية ففي كل عصر كانت نزعات خير وأحلام بالسلام وإذا قسناها بآلات القتال فالعصور الحديثة لم تحجم عن استخدام آلات أشد هولاً من آلات القتال القديمة . ثم ان الظاهر ان الأمم قد تساق إلى الحروب سوقاً لأن الناس لا يسيطرون على نزعاتهم تمام السيطرة ولا يحكمونها حكماً تاماً .

والحرب الثانية لم تحل مشكلات العالم حتى يظن إنها خاتمة الحروب بل زادتها تضخماً واستعصاء بالرغم من هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن العام . والنزاع بين الشيوعية والرأسمالية يزداد استفحالاً ومشكلة الشعب الألماني من العسير حلها حلاً نهائياً ولا تزال شعوب كثيرة تتطلع إلى التخلص من النفوذ الأوربي وبعضها به نزاع بين طوائفها . وكل هذه المشكلات بذور لحرب مقبلة لا تقل عن بذور الحروب الماضية ولا يستطاع القطع بأن الحرب لن تكون ونحن الآن في فترة الاستجمام ولكنه استجمام كله متاعب إلا انه قد يبعد عن الأذهان خطر الحرب المقبلة حتى تنسى ذكرى المستر تشمبرلين قبل الحرب الأخيرة عندما عاد بالطائرة من المانيا إلى انجلترة وصار يلوّح للجماهير بورقة اتفاق ميونيخ ويقول لقد كسبنا السلم !! ثم كانت الحرب بعد قليل . والحقيقة هي انه ما دامت الأمم مختلفة في مقدار قوتها ونظامها وما دامت المنافسة أساس العمران فمن الصعب تحقيق السلم الدائم . بل من المحال منطقياً ان يكون إذا لم نغالط أنفسنا في معنى تلك المنافسة ولوازمها .

ع . ش

نظرة شاملة

تشرف على أنظمة الحكم في العالم

يا عائب القدما بسوء نظامهم   يهنيك عصرك للشرور منظما
تلك الشرور لهـا التمدن معدن   والعلم والفن المدقق منتمى
لا تسفك الوحش الضواري دهرها   ما يسفك الانسان في يوم دما
هذا ابن آدم فطرةً وحقيقـةً   لا يخدعنك إن أراد تكتّـما

توطئة

نعم هكذا حقيقة ابن آدم . لم يتقدم منذ ألوف السنين حتى اليوم ذراعاً أو ذراعين في شرف انسانيته وقضاء واجباتها ـ مع انه تقدم مسافات شاسعة واسعة تدهش قوة العقل وقوة التصور في الاختراعات والاكتشافات والعلم والفن والصناعة وتأنق المعيشة وترفهها والطب وسرعة المواصلات وتسهيلها . ان تقدم البشر في جميع هذه الأمور لا يجعلهم بنظر مفكرهم العاقل أرق نفساً وطبعاً من أجدادهم الأولين سكان الغابات والكهوف وعشراء البهائم والوحوش . بل نرى آفات البشر بين أفرادهم وجماعاتهم لا تزال هي هي . وإذا أردنا شيئاً من التفصيل قلنا : لا ننكر ان هذه الآفات قد خفت وطأتها في بعض حالات المجتمع ولكن بعضها الآخر اشتدت وطأته في حالات أخرى من حالات المجتمع بحيث بقي مستوى المجموع على ما كان عليه في الأزمنة القديمة . ومن ثمّ يصح لنا ان نحكم حكماً جازماً بغير تردد إن أنظمة البشر في دولهم وأممهم قديماً وحديثاً قد أفلست تماماً وخابت كل الخيبة في اكساب المجتمع البشري رقيًّا روحيًّا صحيحاً .

وقد حان لنا ان نلتفت لفتةً عامةً إلى أنواع هذه الأنظمة التي اختارها الناس في ما مضى ولا يزالون يعوّلون على كثيرٍ منها في عصرنا الحاضر .

أنواع الأنظمة الحكومية ونتائجها

وموازنة بين نوعيها الأعظمين

إن استقصاء أنواع الأنظمة التي عرفتها حكومات العالم أمر شديد لا يستطيعه قلمنا في الوقت الحاضر وان استطاعه بعد بذل الجهد فليس من الحكمة أن يتناوله في مقال واحد كمقالنا الحاضر لأنه يدعو الى السآمة وتشويش الذهن وإعناته على غير فائدة تستحق الذكر ولهذا نكتفي في ما يلي بأهم أنواع الأنظمة الحكومية وهي هذه :

النظام الديني — النظام المطلق — النظام الاقطاعي — نظام تقديس القوة والمهارة — النظام النازي — النظام الدستوري — النظام الشيوعي .

أما النظام الديني فهو على سموّ مقامه وقداسة مصدره لا يصلح إلاّ للامة التي تدين بدين واحد وان وجد بينها جماعات تخالف دينها العام فليس لها حق المساواة بالسواد الأعظم الذي تخالفه ديناً . وبديهي ان شرط هذا النظام غير متوفر للامم في زماننا الحاضر ولا فيما جاوزه من الأزمنة وأبرز الأمثلة على نظامه الديني حكومات بني اسرائيل وحكومة الخلفاء الراشدين في فجر الاسلام . وفي وقتنا حكومة ابن السعود في الحجاز ونجد . وحكومة الامام يحيى في اليمن فان أحوال هاتين المملكتين تساعدهما على استعادة الأحكام الدينية الشرعية في شبه الجزيرة العربية .

وأما النظام المطلق فقد كان عليه المعوّل في الأمم القديمة من بابل وأشور ومصر والخزر والفرس والترك والبربر والشعوب الأوربية القديمة . ولم يخرج عن هذا الحكم قديماً إلاّ قدماء اليونان والرومان . وهو لا يزال معمولاً به في كثير من القبائل الافريقية والأقاليم الهندية وفي جزر اليابان . وهذا الحكم ترجح بطبيعته سيئاته على حسناته كما تدلنا حوادث التاريخ وشواهد الحوادث الحالية . وانما تسعد البلاد وسكان البلاد في ظل الحكم المطلق حين يكون الحاكم عاقلاً عادلاً خبيراً . وهذه الخلال الثلاثة قلما اجتمعت في ولي الحكم . ومن الملوك المطلقي السلطة الذين نعمت بلادهم ورعاياهم في ظلهم معاوية الأموي وعبد الملك الأموي وأبو جعفر منصور العباسي وحفيده هرون الرشيد وابن حفيده عبد الله المأمون

والسلطان محمود الثالث العثماني وصلاح الدين الأيوبي ومحمد علي باشا الكبير ومن سلالته الخديوي سعيد باشا . والامبراطور شارلمان والامبراطور الألماني فريدريك الثاني والقيصر الروسي اسكندر الثاني وأمير جبل لبنان بشير الشهابي . ويمكننا ان نعدّ من هذه الطبقة مئة رجل من فضلاء أصحاب السلطة المطلقة . ولكن اذا شئنا أن نحصي أردياء أهل العقد والحل من زملائهم اجتمع لدينا الوف من الملوك والأمراء . فكيف يثق أهل العقل بخيرات وبركات حكم مطلق والشاذ لا يبنى عليه حكم .

وأما النظام الاقطاعي فهو أفظع من النظام المطلق لأنه عند التحقيق هو هو مع زيادة دواعي الجور والقساوة فيه بتقسيم أملاك الدولة الى عدة قطع يقطع ملكها أو أميرها العام كل قسم منها رجلاً يجعله أميراً مطلقاً على ذلك القسم يضرب عليه الضرائب والمكوس كيفما شاء، وكل ما يهم الملك من أعماله هو أن يؤدي ذلك الأمير التابع له ما فرض عليه سنويًّا من أموال وأرزاق وجنود واستلام الاقطاع يكون بالمزايدة فالذي يعاهد الملك على تقديم أكبر جعالة له هو الذي يفوز برضاه ذلك الاقليم من المملكة ولو كان الرجل المزايد كما هو الغالب شر المتزايدين خلقاً وأقدرهم وأجرأهم في الجور وارهاق الناس على الف صورة وصورة .

وقد فشى الحكم الاقطاعي بين الدول الأوربية في القرون الوسطى التي انتهت باصطلاح علماء التاريخ في أواسط القرن الخامس عشر للمسيح. وكانت مدته أطول في أجزاء السلطنة العثمانية حيث بقي الى أواسط القرن التاسع عشر . ولا يزال الحكم الاقطاعي معمولاً به في بعض البلاد الهمجية .

وأما نظام تقديس القوة والمهارة وتقديمها على الحق والفضل والرحمة فأوضح صورة له في التاريخ طريقة الحكم التي اختارها يونانيو سبارطة قديماً لجمهوريتهم والذي وضع لهم هذا النظام المعوج وسجل مواده وشروطه رجل منهم اسمه ليكورغوس . وقد سرى نظام تقديس القوة والبطش من يونانيي اسبرطة الى غيرهم من الأمم فدسّوا شيئاً من روحه بين أحكامهم وعاداتهم ، وفي جملة هؤلاء عرب الجاهلية فإن تحليلهم السلب والنهب والاعتداء بحجة الغزو وافتخارهم في هذا السبيل يحسب ناحية من نواحي ذلك النظام الجهنمي

حتى ظهر الاسلام فأبطله كما أبطل غيره من المفاسد . ولكن عرب الجاهلية في ما عدا هذه الناحية أي ناحية الغزو كانت أحكامهم ومعاملاتهم شوروية نبيلة فيما بينهم لما طبعوا عليه من الصدق والصراحة والجرأة وعزة النفس .

وأما النظام النازي الألماني ويسميه كثيرون النظام الهتلري — وقد انقضى بانقضاء هتلر — فروحه الخبيثة هي روح النظام الاسبرطي بتقديم القوة على الحق مع غرضين خبيثين هائلين لم يكن النظام الاسبرطي يشتمل عليهما — الغرض الأول إذابة حق الفرد بحذذاته ومحو كرامته الشخصية تجاه مصلحة الدولة ومبادئها ومطامعها، فليس الرعايا كلهم إلا بمثابة آلات مختلفة التأثير والقوة وهي خرساء صماء عادمة الشعور تتصرف بها الدولة حيثما تشاء وحسبما تشاء . والغرض الثاني التسلط رويداً رويداً على ممالك العالم وشعوبه واستعبادهم وتسخيرهم جميعاً تحت النير الألماني بحيث يصبح البشر كلهم خدماً أذلاء للشعب الألماني. والألمان أنفسهم خدماً أذلاء لدولتهم . وهذا المبدأ بالغ منتهى الجور والتوحش حتى أن الفرائص ترتعد لهوله بمجرد تصوره والتأمل هنيهة فيه . والذي وصل إلينا من مدويات التاريخ أن حب التسلط على العالم خامر قلوب دول وملوك قبل هتلر والألمان ولكن على غير تلك النية الخبيثة نية التسخير والتذليل والاستعباد ، بل على شكل أخف وطأة وأقل مقتاً وجوراً على شكل تبادل المنفعة والكرامة بين الغالبين والمغلوبين مع السعي جهد الطاقة في تمازج وتآلف الفريقين في معايشهم وعاداتهم وتقاليدهم بأمل أن تعمهم جميعاً وحدة قومية أو روابط قوية تشبه الوحدة القومية . هكذا كانت الأماني القصية بعد المساعي الجبارة في نفوس اسكندر المكدوني وقياصرة الرومان وملوك العرب ونابليون الأول .

بقي علينا الالتفات بوقفة أطول الى النظامين الباقيين النظام الدستوري والنظام الشيوعي وهما أشهر تلك الأنظمة وأقربها الى نيل ثقة أهل العقول ولكنهما مع ذلك لا يستحقان هذه الثقة لما فيهما من دواعي الخوف والخلل كما سيرى القارىء قريباً .

هذان النظامان نرى الخصومة اللدودة قائمة بين أتباعهما على قدم وساق إلى حد ينذر البشر بحرب عالمية ثالثة لا تبقي ولا تذر . والعياذ بالله من تحقيق هذه المخاوف بعد اتساع الخرق على الراقع .

حزب النظام الدستوري أو الشوري أو الديموقراطي سواء كان بصورة جمهورية أو بصورة حكم ملكي مقيد تمشي في طليعته دول الولايات المتحدة الاميركية . وبريطانيا العظمى وفرنسا .

وخصمه العنيد النظام الشيوعي أو السوفيتي أو البولشفيكي ورافع لوائه النافخ ببوقه دولة روسيا المعروفة اليوم باسم الاتحاد السوفياتي وينصر مبادئها ومساعيها سرًّا وجهراً جماعات قوية في كل قطر من أقطار العالم وبينها شرقنا العربي والصين والهند وكثير من ممالك أوربا وأميركا .

إن النظامين يتخاصمان خصاماً لم تشهد العيون مثله ولا سمعت الآذان بمثله . وقد ينقلب هذا التخاصم بعد سنوات يسيرة إلى تطاحن استئصال وفناء . والذي نراه إن الذين يبقون سالمين من الشر بعد هذا التطاحن لن يتمتعوا بعيشة دعة وسعادة ورغد سواءٌ كان النصر للدستوريين أو للشيوعيين فكل من النظامين عاجز عن أن يضمن أماناً واطمئناناً للبشر وعن أن يكافح الشقاء الذي يهددهم كفاحاً موفقاً محموداً .

لا ننكر أن النظام الديموقراطي أو الدستوري يرتكز على قواعد نظرية هي في منتهى الجلال والجمال لأن المراد منها تأييد الحرية والاخاء والمساواة . ولكنه كلما أصاب هذا الهدف الشريف مرة اخطأه مراراً ما دامت الثروة المالية في هذا النظام هي العامل الأعظم على التصرف بأحواله وتعيين مصيره . ومن ثمَّ أصبحت شروط النظرية الثلاثة الحرية والاخاء والمساواة أقرب الى الوهم منها الى حقيقة راهنة تشاهدها العيون وتلمسها الأيدي . فالمال هناك هو الذي يوجه الانتخابات النيابية وغيرها من الانتخابات كما يشاء ، إذ يشتري من أصوات الناخبين ما يشاء . فأين يكون إذن نصيب الصواب والاستحقاق الصحيح ومكارم الأخلاق والفضائل السامية إزاء تلك القوة الغاشمة من المال . ان نصيب هذه المحاسن لا يكون حينئذٍ إلاّ صفراً الى الشمال . ومما يزيد الطين بلة والطنبور نغمة في هذا الخلل الاجتماعي نهوض شركات الاحتكار لكثير من الأصناف مما هو عند التحقيق سلب مقدّم لجانب كبير من أموال الناس وثمرات أتعابهم . وكل ذلك منشأه انحصار معظم أموال الامة بأيدي فئة معينة من الرجال لا يزيد عددهم على واحد في المليون من مجموع الامة . وكم نرى في البلاد

الديموقراطية بيت غني عظيم يتمتع بأعظم ملاذ الحياة وأطيب مطايبها وأبهج مباهج الدنيا وهو مع ذلك لايستغرق إلا عشر دخله المالي، ثم يدخر تسعة أعشاره الباقية في خزائنه الحديدية أو في المصارف الكبيرة . وحوالي ذلك البيت الغني ألف بيت يكاد أصحابها يقتلهم فقرهم جوعاً وعرياً وسوء معيشة . فما الذي يستفيده أصحاب هذه البيوت المساكين من ادعاء المدعين أن نظامهم الديموقراطي الشريف . . . قائم على ثلاثة أعمدة راسخة متينة البنيان هي الحرية والاخاء والمساواة . . . ألا يرى أولئك المساكين ان هذه الدعوى زور وبهتان أو نفاق في نفاق . وانما يستخدمها أولياء الأمر مخدراً قوياً لأعصاب خمسة وتسعين في المئة من أبناء الامة لكي تتحمل أجسادهم الطعنات الدامية التي يجود بها عليهم الباقون من شركائهم في الوطن وهم خمسة في المئة .

هذا هو الوجه الحقيقي العملي للنظام الديمقراطي في عصرنا الحاضر مما يؤدي بين الفترة والفترة . والفترات كلها قصيرة الأمد الى ثورات دموية واضرابات واعتصابات وقلاقل آخذ بعضها برقاب بعض لها أول وليس لها آخر . فأي منصف يدّعي الكمال أو مجاورة الكمال للنظام الديمقراطي .

وأما النظام الشيوعي فان تباعه ينعون على خصومهم الديموقراطيين ما تقدمت الاشارة من أنواع الخلل وضروب الجور الاجتماعي مع بطء سير المعاملات الرسمية عندهم تبعاً لشروط نظامهم الديموقراطي المذكور . ولاشك ان الشيوعيين يجسمون مساوىء خصومهم ويبالغون فيها ثم يعطفون على نظامهم الشيوعي فيذكرون في البراهين على فضله عدم وجود اعتصابات واضرابات ومجاعات في بلادهم ثم يذكرون تقارب رعاياهم في الثروة والتمتع بمعيشة حسنة مع سرعة سير المعاملات الرسمية عندهم .

فيرد عليهم الديموقراطيون قائلين . ان المعيشة في المجتمع الشيوعي متقاربة الدرجات كما يدّعي أصحابها، ولكنها على كل حال عيشة ذات مستوى منخفض ليس فيها من أطايب الحياة مقدار يستحق الذكر طعاماً وشراباً وكسوةً ومأوى . وأهم مما ذكر ينتقدون على الشيوعيين سلب حرية الفرد وكرامته في سبيل طاعته العمياء لدولته ونظام دولته . فهم في هذا المبدأ الجائر يجرون مجرى الحزب النازي الألماني كما انهم يستنكرون منهم أشد الاستنكار عدم مبالاتهم بالدين وأوامر الدين ونواهيه . متخذين الكفر والالحاد ديناً لهم .

ونقول نحن ان أغفال الدين خطأ بل عناد بارد لا معنى له لا سيما بعد ما أبنت بالتنويم المغناطيسي واستحضار الأرواح وانتقال الأفكار وازدواج الأشباح وصدق كثير من الأحلام وغير ذلك من متعلقات علم الغيب ان النفس البشرية لا تفنى بفناء جسدها وان بعد الموت غير عالم أرواح وان جهلنا كيفيته . وان لهذا العالم صلة بعالمنا الحالي وان جهلنا مقدار هذه الصلة وشروطها ان هذه الأمور كلها قد ثبتت الآن علميًّا حتى ان كثيرين من العلماء اعترفوا بها وقد كانوا يجحدونها ولا يزال الى الآن فريق ينكرها وهو فريق غير كبير . وفريق آخر عظيم يتردد بشأنها بين النفي والاثبات . وعلى هذه يقوم أساس الأديان الراقية من يهودية ونصرانية ومحمدية .

ما الذي نستنتجه ؟

ان ما تقدم معنا بيانه لا يكلفنا عناءً في استخراج النتيجة المبنية عليه . بل دعانا سياق الحديث في صدر هذا البحث إلى ذكر النتيجة المذكورة. ولا بدَّ هنا من العود الى ذكرها وهي ان نظم الحكم في العالم ليس بينها نظام واحد كان كافلاً برفاهية البشر وأمنهم وراحتهم وان تفاوتت تلك النظم في حسنها أو قبحها في السبيل السوي الواجب اتخاذه لأجل تأمين البشر واسعادهم ؟ والذي يلوح لنا أن هناك سبيلين ، فالسبيل الأول منهما شديد البعد والصعوبة وان لم يدخل في حيز المستحيل . والسبيل الثاني أقل بعداً وصعوبة وإن اعترضته عقبات جمة لا يستهان بها .

أما السبيل الأبعد الذي لا يعد مستحيلاً فهو أن تجعل ممالك المعمور كلها بمثابة مملكة واحدة لها مركز عام تتولاه أقطاب هذه المملكة العالمية وقد يجعل هذا المركز دائماً وقد يستصوب ضرب مهلة له من السنين فاذا انقضت المهلة اتخذ لهذا المركز مكان آخر. ثم مكان ثالث الى ما شاء الله . وأما ممالك المعمور الحاضرة فتكون شبه ولايات تابعة ذلك المركز ولا بدَّ أن تتمتع كل منها باستقلال داخلي اداري واسع النطاق مع تبعيتها للمركز في التدابير العامة وفي كثير من التدابير وفي كل القوانين والأحكام أو في جلها .

هذه الفكرة الجريئة يتبناها اليوم بعض دهاة الرجال ولكن الصوت بشأنها لا يزال ضعيفاً فاذا امتد واشتد حامت الآمال حواليها .

هذه الفكرة الجريئة متوغلة في قدمها فقد عرج عليها منذ أربعة وعشرين قرناً الفيلسوف اليوناني أفلاطون وبسط مجملاتها ومفصلاتها في كتابه المعروف . بجمهورية أفلاطون . ثم هبَّ لنصرتها الفيلسوف المستعرب التركي الأصل أبو اسحق الفارابي منذ احد عشر قرناً

وهو الرجل الذي يلقبه العرب بالمعلم الثاني لأنهم يلقبون أرسطو اليوناني أو كما يسمونه إرسطاطاليس المعلم الأول اذ اقتبسوا من مؤلفاته اليونانية كثيراً من ألوان العلم . وقد بسط الفارابي آراءه وتصوراته بشأن توحيد دول بني آدم في كتابه « المدينة الفاضلة » ثم تناول هذا الموضوع وعالجه حسب آرائه منذ ثلاثة قرون الكاتب الفرنسوي جان جاك روسو .

واليوم عاد أناس من كبار المفكرين الى هذه العقلية التي كان أسلافنا معذورين في أن يضربوا عنها صفحاً لأول وهلة لصعوبة ما كان عليه المعمور من صعوبة مواصلات وتبادل معاملات وقضاء الوقت الطويل ولو بين مصر وسوريا مثلاً في القول بين مصر وسيبريا أو بين سوريا وأستراليا الى ما شاكل ذلك من الأقطار المتباعدة . هذا فضلاً عن اليأس من استخدام وسيلة لتفاهم الناس بألسنتهم وأقلامهم . ومن ثمّ كانت فكرة توحيد المعمور تحت رايات دولة واحدة أمراً مدهشاً أقرب الى الحكايات الخرافية والتصورات المستملحة المراد منها أنس التفكهة أو لذّة التعلل . وكثيرون من أصحاب المزاج العصبي الحاد كانوا لا يحسبون هذا المشروع إلاّ مهزلة ودليل حماقة وسخافة عقل .

وأما اليوم فلا نقول أنه أصبح تحقيقه على قاب قوسين منا، بل نعترف أنه لا يزال على جانب عظيم من الصعوبة . ولكن كثيراً من مصاعبه قد زالت بفضل تقارب المسافات وسهولة المفاوضات بفضل القطر الحديدية والطيارات والبرق والبريد والهاتف . وأما تفاهم البشر مكاتبة ومخاطبة فلسنا ننظر إليه نظرة يائس متحسر كما كان أسلافنا ينظرون . بل أصبح من الجائز لنا أن نضمر أملاً وطيداً بنيل هذه الأمنية العظيمة عن طريق تعميم لغة السبيرانتو السهلة البسيطة التي وضعها واضعوها لأجل هذه الغاية غاية التفاهم البشري عموماً فاذا تضافرت الهمم والمساعي بين الأمم على جعل درس هذه اللغة اجبارياً في المدارس ولو سنة أو نصف سنة يحشر درسها في أثناء هذه المدة القصيرة بين بقية الدروس فيحكمها دارسوها ولا تمضي عشر سنوات حتى نرى كل زاوية بل كل قرية من هذا المعمور فيها من يحسنون لغة السبيرانتو تكلماً وكتابة بحيث يصبح العارفون بها وقد لا يقلون بالتدريج عن نصف مجموع البشر وسطاء فعالين للتفاهم العمومي . هذا مع احتفاظ كل فرد وكل شعب بلغته الخصوصية في كل الأحوال التى لا يحتاج فيها الى وسيلة تفاهم بينه وبين الغريب عن لغته ذلك عند ما لا تقع معاملة أو مفاوضة بينه وبين هذا الغريب أو عند ما يقع بينهما ذاك ولكي يكون واحد منهما عارفاً لغة الآخر .

الى هنا انتهينا من تقدمنا وتقديرنا بشأن اتخاذ السبيل الأصعب لانشاء رابطة بشرية

عامة تتكفل بالسلام العام والأمن التام وتقضي على مخاوف الحروب بين الأمم ولتقي به المصائب والويلات الشاملة لمشارق الأرض ومغاربها بجمع هذا الكوكب السيار المسمى أرضاً تحت ادارة وتدبير دولة واحدة فاذا نجم حيناً بعد حين في هذا الاقليم من هذه الدولة أو في ذاك الاقليم ثورة أو فتنة فلا يكون الخطب الا خفيفاً محمولاً « يمكن حينئذٍ اخماد الثورة والفتنة في أقصر وقت على أبسط صورة » .

ولنلتفت الآن الى السبيل الثاني الذي هو أقل صعوبة وبعداً وآمال البشر بتحقيق أعظم هذا السبيل القريب ولو قرباً نسبياً يقوم باختيار المحاسن التي ثبت ظهورها من النظامين الديموقراطي والشيوعي واجتناب عيوبهما التي ثبت أيضاً ظهورها فيجعل من هذه النخبة وهذا المزيج الحكيم لقيام حكم جديد لا يلبث أن تعم بركاته الخافقين وتتخذه طوعاً واختياراً جميع العناصر البشرية . هذا مع السعي الى توحيد ما يمكن توحيده بين أجزاء المعمور في الثقافة والتعليم والنقد والموازين والمكاييل والمقاييس وازالة المكوس والوثائق السفرية ومواقع التوطن والارتزاق هنا أو هناك فتزول ثلاثة أرباع مخاوف الناس المستحوذة اليوم على قلوبهم ومشاعرهم وهو تدبير عالمي يتطلب عقولاً جبارة . وجبارة العقول لم تحرمنا الطبيعة وجودهم ، بل يمكننا العثور على أفراد منهم في كل بقعة من بقاع الأرض ولكن الذي يجوز أن يعوزنا ونخشى أن تكون الطبيعة قد حرمتنا فهو وجود جبابرة الفضل والفضيلة والاخلاص والنزاهة والاخلاق الكريمة فاذا وجد ولو عشرة رجال ذوي مناصب عالية على هذا الطراز بين دول الأرض وشعوبها استبشرنا بالنجاح والفلاح وانقشاع هذا الكابوس الثقيل عن صدورنا والاَّ فعلى الدنيا وساكنيها السلام .

وتأييداً لكلمتي الختامية هذا أنقل للقارىء أبياتاً من قصيدة لي حديثة تناولت فيها ناحية من مشكلات العالم وحوادثه على أثر انتهاء الحرب المسكونية الأخيرة :

وقامت وفود ومؤتمرات   لتحقيق آمالنا الغاليه
بروقٌ رعودٌ غيومٌ ولكن   من الغيث خالية خاويه
ألا إنما طي جذع الاراكة   لا فرعها العلة العاتيه
أينفعها رش أوراقها   وأسباب علتها باقيه
إذن ما عهود اللسان تقي بل   عهود الضمير هي الباقيه

اللاذقية — سورية

ادوار مرقص
عضو المجمع العلمي السوري

أسباب القلق الدولي

الاستعمار : الحائل دون سلام العالم

لسعادة عبد الرحمن عزام باشا

إذا استطعنا أن نرجع بذاكرتنا إلى الماضي القريب ونتأمل حالة العالم عند ما كانت الحرب العالمية الثانية — بجميع أهوالها — تنزل الفناء بالشعوب وتنشر الدمار والخراب ، لرأينا أن العالم كان إذ ذاك مقسماً إلى ثلاث طوائف : اثنتان محاربتان وطائفة محايدة . غير أن الطائفة الأخيرة لم تفلت من خداع الفريقين الأولين وحيلهما .

وكانت كل من الدول المحاربة تكيل التهم على رأس الأخرى وتوجه اليها الاتهامات التي يصعب إثباتها ولا تجدي مناقشتها . وأكد كل من الفريقين انه كان مظلوماً وانه ضحية لعدوان الفريق الآخر ، وزعم انه كان يحارب الحرب الشريفة تأييداً للحضارة ونصرة للحق .

ولسنا نُعنى الآن بشرعية هذه المزاعم أو عدم شرعيتها ، بل علينا أن نبحثها على ضوء قيمتها ونرى هل تستند الى أساس صحيح أم لا .

وتتألف الطائفة الثالثة من الأمم التي انتهكت سلامة أراضيها وحقوقها عن عمد ، ومن الأمم التي هددت بمصير مماثل . بيد أن الأمم الأخيرة كانت متيقظة تسلح أنفسها تسليحاً كاملاً ابتغاء تحاشي مثل هذه النكبات .

الأسباب الرئيسية

والواقع اننا اذا ألقينا نظرة عامة على أسباب الاضطراب بين الأمم في أثناء القرنين الأخيرين لرأينا أنها كانت تزداد خطراً وربما بلغت ذروتها في الحرب الأخيرة عند ما اشتركت فيها القارات الخمس بأسرها .

وقد يُسأل : ما هي أسباب هذا الشرّ المفزع الدائم النموّ ، وما هي تلك الأهداف المعتلّة التي ظلت بغير تحقيق في خلال العصور والتي لم تحقق بعد ، والتي يحتمل أن يكون من المتعذر تحقيقها ؟

أهي الجشع بعد التوسع ، والمزاحمة الدنيئة للسيطرة على الشعوب الضعيفة إبتغاء تجريدها من ثروتها ومواردها ؟

أهي حرب الطبقات أي الصراع بين الذين يملكون والذين لا يملكون ؟

أهي المباهاة بالقومية أو ببغض الأجناس أو التخلق بالأنانية المفرطة والطمع والتلهف على احتكار السلطة مع تجاهل حقوق الطبقات الأخرى والأمم الأخرى والأجناس الأخرى ؟

أم هي الموجة الطاغية للمادية واشتهاء الترف مع ما يصحبها من عواقب لا انفصام لها عنها ؟ أم هي تكديس الثروة والاغراق المفرط في اللذات كهدف رئيسي للحياة وبهذا تزيد هوّة الخلافات بين الطبقات والأمم فتلجأ الواحدة إلى مخادعة الأخرى مع ما يترتب على هذا من صراعٍ داخلي وصراعٍ خارجي ؟

أم هي انكسار المعنويات تحت ثقل قوات المادية المتدافعة وبهذا تتقوض أسس الخُلُق ، وتتزعزع المعتقدات وتنجاب التقاليد النبيلة وتخبو النخوة وتتداعى عرى الإخاء وتنتهك العهود والاتفاقات ؟ .

قد تكون سبباً من تلك ، أو مجموعة من هاته العوامل ، غير أن النتيجة النهائية التي تتمخض عنها هي أن يكتب للخيانة والخداع الهيمنة ، وتحل الخشية وعدم الثقة محل الثقة ، ويصبح التأهب للحرب وإعلانها الفجائي سُنّة العصر .

التأثيرات المروعة

بيد أننا إذ نرجع ثانية إلى سبب — أو أسباب — هذه الحالة الخطيرة ، سنقتصر — حرصاً على تحقيق الهدف المقصود بهذا السرد الموجز — على أول أسباب الاضطراب الدولي وأهمها ويمكن حصره في كلمة واحدة هي « الاستعمار » ، أي الاستعمار الحديث ، وهو المبدأ الذي يبشر بامتلاك ما يسمونه مستعمرات ودولاً غير مستقلة ، واستغلالها بأوسع ما تحتمل هذه الكلمة من معانٍ على حساب السكان المعوزين ابتغاء زيادة ارتباكهم وإفشاء سخطهم .

والحق أنه لا يمكن أن نجد دليلاً على النتائج الممقوتة المروعة للاستعمار أجلى وأوضح من الحقيقة الماثلة وهي أن الحروب أصبحت أمراً عالميًّا عقب انتشار مبدأ الاستعمار الجديد والدعوة له في جميع ربوع العالم .

فالإستعمار الحديث كان يتطلع إليه بشوق أفرادٌ وأمم ، وعُدَّ الطريق السامي الذي يفضي الى الشهرة والثراء والسلطة . وتبارت الشعوب للظفر به وتزاحم بعضها مع البعض الآخر لتحقيقه ، وأشربت نفوسها بالحقد بسببه دون نظرٍ إلى حقيقة ماثلة هي أن بعض روّاد الاستعمار سقطوا ضحايا شكوكه ، ولنذكر على سبيل المثال ما حلّ بالاسبانيين

والبرتغاليين والفرنسيين . والحق أنه تستمد دروس غير قليلة من المصير المروع الذي آل إليه دعاة الاستعمار وأبطاله المحدثون .

وقد قال رئيس الوزارة الإيطالية الأسبق « نيتي » في كتابه « أوربا بلا سلام » وقد نشره عقب الحرب العالمية الثانية إنَّ الحروب الإيطالية في ليبيا كان معناها انفاق أربعة عشر ألف مليون ليرة لشراء حقيبة ملؤها رمل . فإلى أي ارتفاعٍ شاهق بلغ هذا الثمن بعدما أنفقته إيطاليا الفاهية في ليبيا وإثيوبيا وسواهما من المناطق . والواقع أن إيطاليا أدمت نفسها في المال وفي الرجال ، وعرَّضت كيانها نفسه إلى الانهيار بسعيها لتحقيق مشروعاتها الاستعمارية ، ولم تجنِ سوى الدمار والخراب .

سراب

وستدرك جميع الأمم، آجلاً أو عاجلاً ، بعد هذه الحروب الطاحنة التي سدَّدت ضربات قاصمة إلى حضارة اليوم المادّية ، إن الاستعمار سراب . فهي تسعى إليه بجنون ، وتتحارب فيما بينها ولكنها عند ما تظفر بهدف معين تجد أن الاستعمار ليس سوى بديل سيء للعمل الشريف والجهد المقترن بالإخلاص ، وحياة الثقة والأمل والمحبّة . إنه في الواقع ككرةٍ تقذف في اتجاه صخرة . قد تصدم الصخرة ، وقد تترك بها أثراً ، بيد أن هناك احتمالات بأن ترتدّ القذيفة وتقتل راميها !

ومن الحقائق المسلَّم بها أنّ الإستعمار — بوصفه استغلالاً للضعيف من جانب القوي — كان السبب الرئيسي لمعظم الحروب في السنوات المئتين الأخيرة . ويمكن تقصي آثار الإستعمار في جميع تلك الحروب . ومن شأن البحث الدقيق أن يبيّن أن آثار الاستعمار الشريرة تكمن في مكان ما من التراث الأدبي للدولة المقهورة متخذة شكل صنمٍ من الأصنام الحديثة وهي : الزيت والذهب والفحم والقطن أو أيِ إنتاج آخر من غلاّت الأرض الكثيرة .

والواقع أن الاستعمار في شكله الحديث شرٌّ وبيل للظافر وللمقهور ، للمستعمِر والمستعمَر على السواء . فهو يسوق الدول الظافرة بالتدريج إلى حياة عدم المبالاة والإهمال والتهاون مع ما يصحب ذلك من شرٍّ مستطير لامهرب منه وهو الانغماس الذاتي المهلك . ويلي ذلك حروب قاتلة مع نواحي الدولة المستعمرة ويصبح بقاؤها بأسره ، عرضاً للتدهور والانحلال .

وما فتئنا حتى اليوم نستطيع أن نرصد في الذرية آثار الشرور التي حلّت بأمم الماضي الاستعمارية المتصفة بالصلف

وإن استبقاء المستعمرات والدول غير المستقلة واستخدامها كمجالٍ للإستغلال الاقتصادي والسيطرة السياسية لا يسعه إلاّ أن يخفض مستوى المعيشة في تلك المناطق . وبهذا تحدد مقدرتها كدولٍ مستهلكة ودع عنك آثار الإستغلال العكسية في الهمّة والنشاط وقوى الإنتاج . ومثل هذه الأحوال المقبضة لايسعها إلاّ أن تفضي إلى النزول بجانبٍ كبيرٍ من سكّان الكون إلى مستوى مقبضٍ من المعيشة يجعل من هؤلاء عبئاً على الإنسانية . واذا أضفنا الى هذا المكائد والدسائس والحروب وسواها من الشرور التي ينشئها الطموح الوحشيّ ، رأينا أنّ صداها هو التعجيل بقيادة المدنية إلى وهدة الدمار والبلى .

حقائق جلية جلاءً ذاتيًّا

ألم يكن الغلّ والغيرة والسباق للاستيلاء على ممتلكات الشعوب المقهورة سبب الحروب النبوليونية بجميع نكباتها ومآسيها التي جلبتها على أم رأس فرنسا نفسها ، فضلاً عن العالم بأسره ؟ أولا ينطبق عين هذا على الغزوات التركية والروسية والنمسوية ؟ ألم يكن هذا شأن الحرب الروسية اليابانية التي اندلع ضرامها في مستهل القرن الحالي ؟ لاريب في أن الحرب الأخيرة ماكان يمكن أن تقع بسبب الشقة الفسيحة التي تفصل بين الدولتين ، لو لم يفض توسعهما الاستعماري إلى تصادمهما في سبيل استغلال موارد الدول الصغيرة .

وهل يسع فرداً أن ينكر الحقيقة الجلية جلاءً ذاتيًّا وهي ان الغلّ والغيرة المضمرتين في صدور تلك الدول التي لم تظفر بنصيب من الأسلاب ، وان الشَرَهَ والشهوة النَهِمَة للتوسع علاوة على الظفر بالمواد الخام وأراضي الأمم المغلوبة على أمرها ، كانت الأسباب الرئيسية لكل من الحربين العالميتين الأولى والثانية ؟

أوَلم يكن إدراك الدول العظمى لشرور الاستعمار هو الذي دفعها بعد الحرب العظمى الأولى إلى البحث عن مخرج بمشروعات الانتدابات والتجريد من السلاح وحرية اقتناء الخامة ؟

لا ريب في أن هذا الطابع الحديث من الاستعمار والاستغلال — الذي يختلف عن الطوابع القديمة التي كانت الشعوب المقهورة بمقتضاها تشترك في الحقوق المدنية على قدم المساواة مع قاهريها في دولة واحدة ذات ادارة واحدة للجميع — هو أسُّ قلاقل العالم واضطراباته .

وسيظل هذا الإثم الحديث حائلاً دون سلام العالم إلى أن ينكشف لجميع الامم، قويها وضعيفها على السواء، من اختباراتها وتضحياتها، حلّ مُرضٍ للجميع وتعاون عالمي في هيئة دولية لادارة شؤون العالم العامة لمصلحة الانسانية جمعاء على قاعدة تساوي حقوق الأفراد والأمم.

التضحية هي العلاج الوحيد

كانت الحروب التقليدية مقتصرةً عادةً على الجيران المتاخمين أو على دولتين متجاورتين. ولكن لما أضحى شرّ الاستعمار كونيًّا، جارته الحروب في ذلك. لذلك تحتم وضع مبادىء كونية لتسوية مشكلات العالم ومنازعاته.

والحل الوحيد لإنقاذ المدنية من أسقامها الحالية هو التضحية بالاستعمار

وإن مساعي بعض الدول العظيمة في هذا الاتجاه سواء في أعقاب الحرب العالمية الاولى لما وضع الرئيس ولسن مبادئه، أو في أثناء الحرب العالمية الثانية كما تجلى في ميثاق الاطلنطي أو ميثاق هيئة الأمم المتحدة – لتُعَدُّ دليلاً على الادراك العام للإثم الذي جلبه الاستعمار على العالم ولنتائجه العكسية على الظافرين والمغلوبين على حدّ سواء.

وفي ما خلا الأسباب التي تجعل من الاستعمار كارثة على الدول المدحورة — لأنها تُكره على النزول عن مستواها وتحرم من الهمّة والقدرة على الانتاج — فهو يلزم مئات من ملايين الجنس البشري بأن يفقدوا نصيبهم في تهيئة مدنية عامة.

فكيف يتسنّى للعالم إذن أن يستقر ما دام أولئك المئات من الملايين قد أصبحوا — من حيث طريقة تفكيرهم وعملهم — عبئاً على سائر البشر؟ لا ريب في أن الاستعمار شرّ شامل وإذا كان مصير الامم بعد هاتين الحربين العظيمتين سيظل خاضعاً لقانون القوة، فستتكرر المأساة مرة تلو مرة حتى تفنى المدنية — حسبما ندركها — في النهاية.

التعاليم الاسلامية الدولية

والتقاليد العربية المستمدّة من تعاليم الأسلام تستنكر الاستعمار. فالقرآن يحرم تحريماً تامًّا استغلال الآخرين باستخدام القوة للظفر بمغانم أرضية. وبمقتضى هذه التعاليم تعد جميع الحروب المدفوعة بمشروعات استعمارية ابتغاء التوسّع، ويعد الاستئثار بالخامة واحتكار الاسواق، والزعم بتحضير الساعة أو احتلال مواقع استراتيجية، أموراً غير

شرعيـة . ولا تسمح تلك التعاليم بدعوى تعالي دولة على دولة أخرى أو تعاظم جنس على جنسٍ آخر ما دام المقصود بذلك إيجاد جنس سائد والتمييز بين بني البشر .

وتؤكد تلك التعاليم تساوي بني الانسانية وتحظر التفضيل والتمييز بينهم الاّ بالتقوى والطهر والمحبة والمسالمـة . وهي تنكر الحرب والصراع الاّ في حالة الدفاع عن النفس أو لتحقيق حرية الاعتقاد لجميع الأديان . وهي تحكم على كل دافع آخر للحرب بأنه غير جائز .

* * *

وقد يحاج البعض بأن التاريخ العربي سجل حوادث تناقض هذه المبادىء . وهذا صحيح لأن بعض زعماء العرب وملوكهم لم يوقر مبادىء دينه . غير أن هؤلاء القادة دفعوا ثمن انتهاكهم لهذه المبادىء إما بأشخاصهم أو بشعوبهم في ما بعد .

وجلي من جميع سور القرآن وحديث النبي أن الاسلام يتبرأ من الاستعمار بجميع صوره وأهدافه . والواقع أنه ليس هناك حجة على صدق تلك التعاليم وبعد نظرها أقوى مما تجلى من دمار انشأته مبادىء الاستعمار الحديثة في حياة جيل واحد ، وما تلاه من جعل الاجرام أمراً قانونيًّا مشروعاً .

وإني لأضرع من كل قلبي وآمل بإيمان وثيق أن يدرك الساسة الذين يقررون مصير الأمم أن الأوان آن لاستخدام تلك التعاليم الاسلامية النبيلة والتقاليد العربية السامية في انشاء علاقات دولية متينة في اتجاهات تختلف عن تلك التي تمليها سياسة القوة وقانون الغابة مع التثبت من أن تلك العلاقات تنهض على روح المسالمة والمودة والاخاء التي يوحي بها الاسلام ، ذلك الدين الذي لا يعرف تفرقة بين لون أو معتنق ولا تمييزاً بين المعارف والجهالة ، والتقدم والتأخر ، وإنما يعترف بشيء واحد وحقيقة واحدة هي أن جميع الناس إخوة منحدرون من أب واحد هو آدم .

وإن من الواجب الديني على جميع المسلمين أن يستنكروا الاستعمار ، وهذه تبعة عظيمة شريفة وعلى كل عربي مؤمن ومتصف بالرجولة أن يعارض الاستعمار

ولن يشرق فجر يوم جديد يكتنفه السلم والأمل على هذه الدنيا المعذبة إلاّ عند ما يدرك كل واحد منا — ظافراً ومدحوراً على السواء — ان الاستعمار حائل دون استقرار العالم وسلامه .

ترجمها عن الانجليزية وديع فلسطين

الطعام والهضم

١ - فائدة القناعة في الطعام : لا فائدة من الطعام ما لم يكن جيداً ، ولا فائدة من الطعام الجيد ما لم يُهضَم جيداً ، وما دام الجهاز الهضمي يعمل بانتظام فالهضم يتم بدون صعوبة . أما اذا حدث فيه أقل تشويش أو اضطراب فيشعر المصاب بالألم والإنزعاج . ولسوء الحظ لا يمكننا أن نتأكد دائماً من سلامة أجهزة الهضم لعدم وجود أعراض ذاتية ، وقد يحدث في كثير من الأحيان أن يصاب المرء بأمراض خطيرة من ناحية المعدة والمعى دون أن تكون هنالك أيضاً أعراض مرئية .

ومما يؤسف له أن الجسم لا يجاوب حالاً على ما ينتابه من الاضطرابات الهضمية بإحساسات مؤلمة . والواقع أنه يكفي أن يعيش الإنسان عيشة صحية معقولة ليبقى جهازه الهضمي سليماً ، وكثيرون من المرضى كانت معيشتهم دائماً منظمة جداً ، وآخرون بالعكس كان من الواجب أيضاً اعتبارهم مرضى بسبب حياتهم المضطربة وغير المنظمة لم يشعروا فعلاً بأي مرض أو انزعاج ، وما ذلك إلاّ لأن كثيرين منهم قد حافظوا على صحتهم بقدر الامكان ولم يعيشوا عيشة صحية إلاّ بسبب ضعف جهازهم الهضمي . وعلى نقيض هؤلاء وأولئك توجد فئة أخرى يستطيع أفرادها أن يتحملوا مدّة طويلة أي نوع من الافراط لقوة مقاومة هذه الأعضاء ، وكلنا نعرف أن كثيرين منهم يجهدون معدهم ويحشونها حشواً بالطعام فوق طاقتها ، وقد قال أحد الأطباء المشهورين قديماً : « كل واحد لهُ المعدة التي يستحقها » لكن هذا لسوء الحظ غير صحيح .

والمهم في الأمر أن يكون رائدنا الاعتدال في كل شيء ، وخصوصاً فيما يتعلق بالأعضاء الهضمية ، وهذا واجب مهما بلغت هذه الأعضاء من القوة . لأن القناعة في الطعام ، وتناول الجسم حاجته فقط ، من الأسباب التي تطيل الحياة — بعكس النهم والشراهة فإنهما من

أقوى الأسباب التي تزعزع قوى الجسم وتصرم حبل الحياة قبل الأوان لأنهما يقضيان على أجهزة الهضم بعمل شاق غير مستعدة له . ولا حاجة بنا إلى القول أيضاً أن معظم أمراض القلب والمعدة والكبد والكليتين والشرايين وغيرها لم تنتج إلاَّ بسبب الافراط في التغذية كما أثبتته المشاهدات الكثيرة . فجديرٌ بنا والحالة هذه مراعاة حالة الأعضاء الهضمية ونعرف خصوصاً ما يلائم معدنا وما لا يلائمها من الأطعمة ، فلا نعمل من ناحية على إضعافها ، ولا نعمل من ناحية ثانية على اجهادها دفعاً لسوء الهضم والتخمة وما يتسبب عن هذه الحالة من العواقب السيئة .

والقاعدة التي يمكن السير عليها هي في نظرنا كما يلي : يُترك الحدث في دور النمو يأكل ما يشاء وبقدر ما يشاء دون أن يتجاوز طبعاً الحد اللازم . ويكتفي البالغ من الطعام بقدر ما تسمح له شهيته وليس أكثر . أما كبير السن فيفضل أن لا يتناول من الطعام إلاَّ أقل ما تسمح له به شهيته .

هذا من جهة ومن جهة أخرى نرى أشخاصاً لا همَّ لهم دائماً ولا شاغل سوى العناية بصحتهم ، ومع ذلك تراهم دائماً سقيمين ممروضين . وآخرون بالعكس فإنهم لا يشعرون بأي ألم أو اضطراب من ناحية المعدة والأمعاء بالرغم من ذلك نجدهم يهتمون بأعضائهم هذه كل الاهتمام ويساعدونها في وظائفها الهضمية تارةً بتناول الملينات أو المسهلات ، وطوراً بعمل الحقن الشرجية دون أن تكون هنالك فعلاً أية حاجة لذلك ، لأن أمعاءهم تتنظف جيداً وتقوم بعملها من تلقاء نفسها على أحسن حال أفضل بكثير من الوسائل المار ذكرها .

ولذلك كان من الضروري عدم التشبث بمثل هذه العناية الفائقة والاهتمام بها الى هذا الحد ولا سيما في دور الطفولة . ولا ينكر أن العادات تلعب غالباً دوراً هامًّا في حياة الانسان وكثيراً ما يصعب التخلص منها ، وعلى الخصوص العادات السيئة التي يكتسبها المرء في شبابه . ثم أن الوالدين أنفسهم يلعبون أحياناً دوراً خطيراً بإعطاء الأمثلة لأولادهم. فاذا كانوا لا يقدرون مثلاً أن يأكلوا هذا الصنف من الطعام أو هذا النوع من البقول فليس بغريب أن لا يكون أولادهم مثلهم ، والغالب أنهم يحذون حذوهم في عاداتهم ومشاربهم إذ لا يخفى أن من غرائز الأطفال حبهم للتقليد وميلهم للتعود بمختلف العادات . وإنه لا يكفي

أن نقوم بتربية أولادنا وتهذيبهم في المدارس ، بل علينا أيضاً أن نلقنهم القواعد الصحية من قيام وقعود وجلوس وأكل وشرب ورياضة ولعب ولبس وعمل الخ التي تكفل لهم الصحة الجيدة . وإذا كنا نهتم خصوصاً بتغذيتهم تغذية حسنة موافقة لصحتهم ونموّهم فكثير من العلل والأمراض التي يعود أصلها إلى عهد الطفولة والحداثة يمكن إذ ذاك اتقاؤها ولا تظهر في دور الكهولة أو بعده .

ننتقل هنا الى بحث آخر ، مهم جداً ، ونعني به :

٢ — أضرار سرعة الأكل والشرب : لا ريب في أنّ السواد الأعظم من الناس في عصرنا هذا يسرعون في الأكل ولا يمضغون الطعام جيّداً بحيث أصبحت هذه العادة عندهم طبيعة ثانية . ولعلّ السبب في ذلك كثرة المشاغل ، والعجلة الناشئة من معيشة المدن . وقلة استعمال الأطعمة الناشفة (كالخبز والخضار والفواكه) التي تستدعي اللوك الجيد ، فيندفع الطعام والحالة هذه الى المعدة كتلاً كتلاً وهذا ما يتعبها في عملها ويحملها على أن تترك أكثر هذا الطعام كما هو فيندفع الى الخارج دون استفادة الجسم منه . وعلى قدر عملية المضغ تتوقف الفائدة التي يحصل عليها الانسان من غذائه .

فضلاً عن ذلك فالآكل لا يشعر بتلك اللذة التي يجب أن ترافق الأكل عادةً ، والثابت اليوم أن اللذة التي ترافق الطعام من أهم الأسباب المهيئة للهضم والمساعدة على زيادة افراز العصارات الهضمية .

وسرعة ازدراد الطعام وعدم تنعيمه باللوك الكافي على نحو ما ذكرنا لها أضرارها من نواحٍ عديدة وينبغي محاربتها بأنجع الطرق دفعاً لما يترتب عليها من النتائج الوبيلة . وهذه النتائج تظهر عند الشخص ان عاجلاً أو آجلاً . وبقدر ما يكون الجهاز الهضمي عند أحدهم ضعيفاً أو قليل المقاومة يكون ظهور الأعراض باكراً . ومن ناحية أخرى فالذي يسرع في أكله وشربه دون أن يمضغ الطعام جيداً تمتلىء معدته سريعاً فلا يحصل لها عندئذٍ متسع كافي من الوقت لتتمدد باعتدال نسبة إلى كمية الطعام أو الشراب التي دخلت فيها . فوصول الأطعمة هكذا إلى المعدة بصورة فجائية له نفس التأثير الذي يحصل من الاصابة بضربة عنيفة على جدارها العضلي فلا تتقلص إذ ذاك أليافها بالكفاية ولا تأخذ الأوضاع اللازمة وتنخفض

محتوياتها كما في الحالة الطبيعية ، فينشأ من هذه الحالة إحساس مؤلم وشعور بالثقل والامتلاء ، كما لو ان جسماً غريباً قد دخل فيها ، فيضطر المصاب حينئذٍ الى حلّ ملابسه تخفيفاً للضغط الحاصل فيشعر بشيء من الراحة والانفراج ولا سيما اذا تجشأ ما ابتلعهُ من الهواء مع الأطعمة وليس هذا فحسب ، فالمصاب نفسه يشعر باحساسات مؤلمة ناشئة عن اضطرابات الهضم ، لأن المعدة المتمددة بسبب كثرة الأطعمة تحتاج طبعاً إلى وقت أطول للقيام بعملها فتتأخر عملية الهضم مع انخضاض الأغذية وتحولاتها الكيمياوية .

٣ — تأثير اللعاب في وظائف الهضم : نعود هنا الى نقطة هامة أخرى وهي ان الذين لا يلوكون الطعام جيداً لا يختلط هذا باللعاب الذي يحلل بعض أنواع من الأغذية ، فينشأ من هذه الحالة نقص الهضم ومن ثمّ عسره ، وخصوصاً في المواد النشوية . وقد أشار الى ذلك العالم الفرنسي كلود برنار (١٨١٣ — ١٨٧٨) فأبان الدور الهام للعاب في عمل الهضم. ولا يخفى ان هذا الهضم لا يبتدىء فعلاً بالمعدة كما يتصور بعضهم ، بل يكون ابتداؤهُ بالأحرى في تجويف الفم . فمن حركة المضغ ينفرز اللعاب ، وهذا اللعاب سائل تكوّنه الغدد اللعابية وتفرزه في الفم ، وفيه أيضاً افراز الغدد البسيطة المنتشرة على سطح الغشاء المخاطي للفم كما انه يحتوي على مادة مؤثرة تسمى (البتياليز) أو (اللعابين) ، وهذه المادة تؤثر في المواد السكرية والنشوية الموجودة في الأغذية وتجعلها مبدئيّاً قابلة للهضم . وكلما كان المضغ كثيراً كان الهضم أسرع ، والمضغ يزيد افراز اللعاب فيختلط هذا بالطعام ، وبذا تأخذ المواد السكرية والنشوية في التحول الى غليكوز . ويتم هذا التحول في المعدة ثم في المعى بواسطة العصارات الهضمية .

وعند ما لا يحصل للخميرة اللعابية (مادة اللعابين المذكورة أعلاه) الوقت الكافي لتمتزج بالطعام الذي نتناوله ، فيصل هذا الى المعدة فالمعى غير جاهز بالكفاية . فاذا لم تأت العصارات الهضمية الأخرى لاصلاح النقص الحاصل يؤول الأمر الى حدوث اختلال في عمل تلك الأعضاء مع اختمارات وتسممات فيها ، بل إلى الاصابة أحياناً بالالتهاب المعوي .

فالشرط اللازم للهضم الجيد هو اذاً اجادة المضغ ، وامتزاج الطعام امتزاجاً كافياً باللعاب ويمكن للانسان أن يأكل وجبة كبيرة ولا يتضرر منها اذا أحسن لوكها وتمهل في مضغها ،

قدر ما يتضرر من هذه الوجبة اذا أكلها بسرعة وبلا لوك .

٤ — الأفراط في الشرب : الملاحظ ان الانسان يفرط بشرب المـاء أكثر من افراطه بالطعام . والواقع ان شرب الماء يفيد بكثرة متى كانت المعدة فارغة ولا سيما في الصباح قبل الفطور ، وبعكس ذلك تكون الحالة اذا أُخـذ والمعدة مملوءة بالأطعمة . أمّـا ما يختص بالمشروبات الروحيـة فالضرر يكون مضاعفاً والبلية مزدوجة . واذا قابلنـا المواد الجامدة بالمواد السائلة التي نتناولها فهذه الأخيرة تشغل حجماً أكبر في المعدة وتكون هـذه مثقلة مكظوظة ، وقـد تتأثر بسبب ذلك الأعضـاء الأخرى . والرجل البالغ يستطيع أن يتناول لترين وأكثر من السوائل ، ويدخل في هذه الكمية الحساء والقهوة والشاي والقسم السائل من الأطعمة الأخرى . ويمكن القول اذ أغلب الرجال يشربون أكثر من حاجتهم الضرورية مبررين عذرهم بشعورهم الشديد للظمأ . واذا كان الشخص ذا صحة جيدة فالافراط في شرب الماء يُعتبر عادةً سيئة .

وفي كثير من الأحيان يُلقى على الطبيب السؤال التالي وهو : هل ان شرب الماء مفيد أم مضر في أثناء الأكل ؟

فتنويراً للاذهان رأينا أن نذكر هنا ما تمّ معرفته عنهُ .

١ — اذا كان الشخص ذا صحة جيدة ومعدة سليمة : فشرب الماء باعتدال على المائدة (قدر قدح واحد من الماء) لا ضرر منه البتة بشرط ألاّ يؤخـذ والطعام في الفم لدفعه الى المعدة لأن اللعاب لا يسيل اذا كان في الفم ماء . واذا أخذ السائل بارداً فور تناول طعـام ساخن جدّاً فالأسنان ولا ريب تتأثر وتتألم ولا سيما « الميناء » وهي الطبقة الظاهرية الصفيقة جدّاً التي تغطي تاج السن وقد تتشقق وتتصدع هـذه الطبقة بسبب ذلك وتغدو الأسنان عرضة للتلف . واذا تجرّع الانسان مقادير كبيرة من المـاء فغالباً ما يصاب باضطرابات هضمية مزعجة بل مؤلمة بعد مدة من الزمن .

٢ — اذا كان الشخص مصاباً بضعف أو مرض في المعدة : إن تجرُّع الماء بكثرة في مثل هذه الحالة يسبب حتماً اضطرابات هضمية مع تمدد في المعدة نتيجـة توسع زائد فارتخاء في الألياف العضلية لهـذا العضو . وقد تصاب هـذه الألياف بالشلل فيزداد الشعور بالثقل-

والامتلاء ازدياداً عظيماً ويكون الألم شديداً جداً.

وجملة القول أن على من كان مصاباً بمرض أو اضطراب في المعدة أن لا يشرب الماء في أثناء الأكل بل بالأحرى بعد تناوله ويكون ذلك بجرعات صغيرة بحيث يكون امتلاء المعدة بتمهل وبطء، ومثله تمدد هذا العضو، وبذلك يحصل للطبقة العضلية في المعدة متسع كاف من الوقت لتعتاد على حالتها الجديدة. ويجب أن نقول هنا أيضاً أن الشعور بشرب الماء بعد الطعام أقل بكثير من الشعور بشربه بعده أو في أثنائه: وهي نقطة مهمة جداً ولا سيما في أمراض المعدة.

وقد يجد الكثيرون منهم — أولئك الذين اتخذوا عادة شرب الماء بكثرة في أثناء تناول الطعام — صعوبة كلية في ترك هذه العادة، غير انه يمكن التغلب عليها بشيء من العزم وقوة الارادة. وعند ما تبطل هذه العادة يجد الانسان نفسه فيما بعد مسروراً ومرتاحاً جداً ويكون قد خطا خطوات واسعة في سبيل تحسين حالة جهازه الهضمي وازالة الأضرار التي تكون قد حدثت له.

٥ — تأثير الكحول في الهضم: يمنع الأحداث والشبان عن تعاطي المشروبات الروحية على أنواعها، ويمكن السماح بها للاشخاص البالغين بمقادير معتدلة. ويجب أن نعرف أن الانسان الصحيح البنية ليس بحاجة قطعاً الى شرب المشروبات لأنها غالباً ما تكون مضرة حتى ولو أخذت بكمية معتدلة.

أما ادعاء البعض من أن المشروبات الكحولية تزيد قابلية الأكل وتقوي المعدة وتسهل الهضم. فتكذبه التجارب والمشاهدات الكثيرة. فان المشروبات المذكورة لا تجلب القابلية البتة ولا تساعد على الهضم بل تؤخره! ويتضاعف ضررها خصوصاً حينما تكون المعدة فارغة حيث يسري السم في الجسم بسرعة.

وقد تقضي الضرورة في بعض الحالات بمنع المشروبات الروحية منعاً باتاً، وفي حالات أخرى السماح مثلاً بالجعة دون الخمر أو بالعكس.

وهناك حالة وهي زيادة افراز العصارة المعدية Hyperchlorydrie يكون فيها استعمال الخمر مضراً، أما إذا كان حامض العصارة المعدية غير كاف Hypochlorie فالأمر بالعكس

إذ يستحسن أخذ مقداراً قليلاً من الخمر لمساعدة الهضم . وانه لا يمكن أن نعدد هنا جميع الحالات الخاصة التي يسمح بها استعمال المواد الكحولية أو عدم استعمالها ، فالطبيب وحده يقرر ما يكون ضرورياً استعماله أو غير ضروري وفقاً للظروف والأحوال الشخصية .

٦ — تأثير الشاي والقهوة في الهضم : الآراء في هذا الصدد متناقضة . فالبعض يفتكر أن الافراط في شرب الشاي والقهوة مضرٌّ جدًا بالمعدة ويكون سبباً لكثير من أمراض الجهاز الهضمي ، والبعض الآخر يرتاي بالعكس . والواقع أن الانسان العاقل الذي يريد أن يعيش بحكمة واعتدال يكتفي فقط بتناول فنجان شاي أو قهوة كل بضع ساعات ، وهذا لا يضر شاربه بل يساعده على السير في عمله اليومي بغير تلكؤ ، كما انه يقوي المعد الضعيفة وينعش الجسم والعقل ويحثهما على القيام بوظائفهما من جديد كلما انهكهما التعب أو استحوذ عليهما الخمول . أما الذين يشربون ٦ الى ٨ أو ١٠ فناجين من الشاي أو القهوة يومياً كما يفعل الكثيرون منهم ، فليس بغريب أن يصاب هؤلاء الأشخاص بأضرار بالغة . فثلاثة أرباع حالات الأرق مثلاً ترجع الى ادمان الشاي ، كما ان مادة الكافيين تسبب ارتفاعاً في ضغط الدم واسراعاً في ضربات القلب . وكلما رخص ثمن الشاي كلما كان أكثر ضرراً .

وما تقدم ذكره عن الشاي يقال أيضاً عن القهوة وهذه يجب منعها خصوصاً عن الأشخاص المصابين بأمراض المعدة وعن العصبيين ، وهؤلاء كثيرون ونراهم يوميًا يشكون لنا أرقهم وخفقان قلبهم وتهيج أعصابهم . والانسان لا يكون عصبيًا بدون سبب ، والغالب ان هذا السبب يعود الى طراز المعيشة ، والحياة غير الصحيحة التي تسبب له تسممات حقيقية من بعض الأطعمة التي يتناولها ومن الادمان في شرب الشاي والقهوة

٧ — تأثير التبغ في الهضم : مما لاشك فيه أنَّ التدخين مضر بالصحة مؤذٍ بالجسم ، وله أيضاً تأثير سيء على عقل الانسان ونفسيته ، وعلى جهازه العصبي والتنفسي والهضمي والدموي ، وكذلك على البصر والسمع وغيرها مما يضيق المقام هنا عن شرحه وتفصيله . ويحتوي التبغ على طائفة من المواد السامة جدًّا وهي : النيكوتين ، وأملاح البريدين ، والنيكوتيانين ، وغاز أوكسيد الكاربون والكوليدين . غير أن العنصر الفعَّال في الدخان والأكثر فتكاً بالجسم هو النيكوتين .

وإننا لا نحاول في هذه العجالة معرفة ما إذا كان واجباً أن ينقطع الإنسان تماماً عن التدخين بل علينا أن ننظر فقط في ما له علاقة بموضوع بحثنا أي أمراض الجهاز الهضمي . ولا بدَّ من الإشارة هنا إلى أنه توجد اختلافات كثيرة بين شخص وآخر ، فهذا الشخص

مثلاً يتحمل منذ زمن طويل جداً تدخين بضع سيكار من التبغ القوي أو ٤٠ و ٥٠ سيكارة بل قل ٨٠ سيجارة يومياً بدون ضرر على صحته ، وذاك يشعر باضطرابات مختلفة بمجرد تدخين بضع سيكارات يومياً . فالعبرة إذاً كما ترى ليست بمقدار التبغ الذي يدخنه الانسان بل باعتياده على التدخين ، وبمقاومته البدنية . اما ذوي الأشغال العقلية الكثيرة فلا يتحملون التبغ عادةً مثلما هم لا يتحملون الكحول أيضاً . وهؤلاء الأشخاص يجب عليهم أن يكونوا أكثر حذراً واحتراساً بسبب سرعة تأثرهم وقوة حاسيتهم .

ولننظر الآن في الاضطرابات التي تتسبب عن التدخين عند الذين يبدأون في ممارسة هذه العادة . وأهم الاضطرابات المذكورة كما يلي : شدة ضربات القلب . عدم انتظام النبض . دوخان . اصفرار الوجه . ألم في الرأس . تهوع أو قيء . أما الذين قد اعتادوا التدخين بافراط فالاعراض تكون هكذا : (١) اضطرابات من ناحية القلب : ضعف القلب وسرعة دقاته مع عدم انتظام هذه الدقات ، والذبحة الصدرية أحياناً ، وضيق النفس (٢) اضطرابات من ناحية الدماغ : ضعف في قوة الذاكرة خصوصاً فيما يتعلق بأسماء الأشخاص ، وأحياناً فقدان قوة النطق وقتياً (٣) اضطرابات من ناحية البصر ضعف شديد في البصر يمكن أن ينتهي أحياناً بفقدانه . (٤) تصلب الشرايين : يرجح بعض الأطباء أن لانتشار التبغ دخلاً كبيراً في ازدياد الوفيات العائدة الى أمراض الشرايين .

والاضطرابات التي تهمنا هنا هو تأثير النيكوتين على جهاز الهضم . فتأثيره في المعدة مثلاً يزيد أولاً العصارة المعدية مع زيادة حموضة هذه العصارة . وهذه الحالة تكون مصحوبة بعوارض مؤلمة واذا أفرط الانسان في التدخين قلت بالعكس العصارة المعدية وقد تنقطع تماماً ، ويتسبب عن هذا كله فقدان شهوة الأكل والامساك . اما من ناحية الأمعاء فالدخان ينبه حركة عضلات هذه الأمعاء ، ولاسيما الغليظة منها ، فتتقوى على طرد الفضلات المتجمعة فيها وبذلك يسهل وينتظم تفريغها .

وبوجهٍ عام نقول ان شرب الدخان باعتدال جداً في الأمراض المعدية المعوية لا ضرر منه . غير انه يستحسن الاقلاع بتاتاً عن هذه العادة بالنظر لمضارها الوخيمة العاقبة التي أتينا على ذكرها .

ويوجد أحياناً في الأسواق سيكار يقال انه بدون « نيكوتين » لكن لا يوجد ما يؤكد لنا أن هذا النوع من السيكار غير سام فالافراط في شربه قد يكون مضاهياً بنتائجه الى أنواع التبغ الاعتيادية ولذا يُحترس من استعماله .

الدكتور عبده رزق   بيروت

الصفحة الادبية

المخترع العالمي

توماس اديسون

أمريكا تحتفل بذكراه المئوية

عندما يحتفـل شعب الولايات المتحـدة بالذكرى المئوية لميلاد توماس الفا اديسون ، طليعة المخترعين في أمريكا ، في ١١ من فبراير عام ١٩٤٧ فسيشيدون بذكرى رجل لعله أكثر الناس توفيقاً في العالم إذ جعل حلم العصر الميكانيكي الحديث حقيقة واقعة .

وقد قدر رجال الاحصاء ان مخترعات اديسون أسفرت عن تقدم في صناعات يزيد رأس مالها الآن على ٢٠ ألف مليون دولار وتستغرق من العمال أكثر من ٤٠ مليون شخص . على أنه لو زيد نطاق هـذه التقديرات حتى لا تشمل الصناعات التي لم تسفر عنها مبـاشرة مخترعات اديسون فحسب ، بل تشمل الصناعات التي كانت تكون مستحيلة لو لم يساهم في مجالات المعرفة والتقدم ، لبلغ الرقم نسبة عالية جداً .

* * *

وابتكر اديسون نحو ١٠٠ر١ اختراع ، وذلك عدد من المخترعات لم يكد يسجله من قبل شخص أو هيئة اختراعات في الولايات المتحدة . واذا كان خير ما يذكر به أنه اخترع أول مصباح كهربائي وهـاج ، وانه كشف وسائل توليد وتوزيع الكهرباء ، فانه لم يعرف مجالاً من مجالات المحاولة غريباً على مواهبه .

واخترع أول « فونوغراف » ، استطاع أن يحيله آخر الأمر الى آلة ميكانيكية تسجل الاسطوانات . واختراعه للكاميرا المتحركة غدا أساساً متفقاً عليه للحصول على الصور المتحركة وأدت الى صناعة السينما .

ووضع جهازاً يسمح بارسال الاشارات التلغرافية بين محطات سكة الحديد . كما اخترع الجهاز الناقل الذي ساعد الكسندر جراهام بل على جعل التليفون الذي ابتكره تطبيقياً من الناحية التجارية . وأدخل التحسينات التي أحدثت ثورة في عالم البطاريات ، وفي صناعة الاسمنت ، والتعدين ، وصهر الحديد الخام . واخترع وأنشأ أول قاطرة كهربائية في أمريكا ، وأحدث اكتشافات أساسية في مجال الالكترونات .

وهكذا ظلَّ اديسون حتى وفاته في ١٨ من اكتوبر يعمل بلا انقطاع في معمله ليحسن من طبيعة منتجاته وليزيد من الاقتصاد في نفقات صناعتها .

وقد ولد اديسون بميلان في اوهيو يوم ١١ فبراير عام ١٨٤٧ ، وأبوه ينحدر من أصل هولندي ، وأمه من أصل سكوتلندي .

وبالرغم من أن مدة ثقافته الرسمية لم تتجاوز ثلاثة أشهر قضاها في إحدى مدارس بورت هورن بولاية متشيجان فقد أبدى شغفاً شديداً بالمعرفة وحبًّا في العمل على نحو غير مألوف عند الأحداث . ولما بلغ الثانية عشرة من عمره جعل يبيع الصحف في القطارات المتنقلة بين بورت هورثون وديرويت في متشيجان ثم اتخذ لنفسه معملاً في حجرة العفش يقوم فيه بدراسته الكيميائية .

اشتغل وهو في الخامسة عشرة عاملاً في التلغراف بغير أنه ظلّ يواصل دراسة الكيمياء وأخذ يعمل لابتكار مخترعات في أوقات فراغه . وكان أول ما ابتكره في هذا الصدد أجهزة توفر عليه عمله الخاص .

* * *

وفي عام ١٨٦٨ ظفر بأول امتياز لاختراع مسجل الصوت الكهربائي لاستخدامه في الهيئات التشريعية . ثم أعد أجهزة أخرى بعد ان أدخل تحسينات عليها ، وفي العام التالي شرع في مد خطوط تلغرافية في مدينة نيويورك .

وافتتح في اكتوبر عام ١٨٦٩ معمله الخاص في نيويورك بنيوجرسي ومعه كثير من الفنيين الذين ذاع صيتهم بعد ذلك . وتسنى له أن يبتكر خلال السنين التالية القلم الكهربائي الذي تطوَّر أخيراً الى النوع المعروف بالاستنسل . وأدخل تحسينات على الآلة الكاتبة . وتحسينات أخرى في مجال التلغراف ، مثل وضع أجهزة لنقل الرسائل المتعددة في وقت واحد وعلى نفس الشبكة السلكية

ثم لاحظ أديسون أن تلغرافه الاوتوماتيكي يحدث صوتاً موسيقيًّا اثناء تقارب أصوات النقط والشرط ، الأمر الذي حفزه على أن يبحث في امكان اختراع جهاز الفونوغراف في ١٢ من أغسطس عام ١٨٧٧ . وهذا الجهاز الذي تكلف ١٨ دولاراً لم يكن في الاصل إلاَّ عبارة عن اسطوانة (سيلندر) تدار بواسطة ذراع . وبعد مراحل تطوَّر فيها هذا الاختراع انتهى الأمر بإديسون الى تسجيل اسطوانة للموسيقى ، ومن ثمَّ أصبح الفونوغراف من

أكثر المخترعات التي اشتهر بها اديسون . حتى أنّ إحدى الشركات في الولايات المتحدة بلغ عدد ما سجلته ، كما أعلنت ذلك، مليون اسطوانة .

***

المصباح الكهربائي

على أن خير ما يذكر به اديسون اختراعه لأول نوع عملي من المصباح المتوهج الكهربائي إذ لم يكد يبلغ عمره الواحدة بعد الثلاثين حتى كان إديسون قد توطد مركزه باعتباره مخترعاً، وفي ٢١ من اكتوبر عام ١٨٧٩، بعد أن أجرى مئات التجارب على المعادن والمواد وأنفق أكثر من ٤٠ ألف دولار نجح في صنع مصباح تتألق في فراغه حلقة كربونية من الخيوط القطنية نحو ٤٠ ساعة .

وبالرغم من أهمية هذا المصباح فلم يكن إلاّ جزءاً صغيراً من سلسلة أعمال إديسون الكهربائية الأخرى . فقد اخترع جهازاً يولّد ويوزع الحرارة من دينامو هائل ، أخذ يزيد من كفايته حتى بلغت نسبة هذه الكفاية ٩٠ في المائة بعد أن كانت أربعين . وأهم من هذا ، اختراعه لجهاز توزيع التيار الكهربائي .

وبعدئذٍ شرع اديسون يفكر في أن « يصنع للعين ما يصنعه الفونوغراف للأذن » ، ومن ثمّ اخترع الكاميرا ذات الصور المتحركة . وظهرت أول صورة متحركة في العالم بمعمله في نيوجرسي .

وإزاء هذا كله ظفر اديسون من الكونجرس الأمريكي في عام ١٨٨٢ بمدالية « التطور والتطبيق في ميدان المخترعات التي أحدثت ثورة في الحضارة خلال القرن الماضي » .

وفي عام ١٨٨٩ قلد وسام الشرف الفرنسي « اللجيون دونير » . وفي سنة ١٨٩٢ منحته جمعية الفنون في بريطانيا العظمى ميدالية البرت . وفي عام ١٩٠٨ منحته جمعيات المهندسين الأمريكية ميدالية جون فريتز للمهندسين . وفي عام ١٩١٤ منح ميدالية راثينو (الألمانية) وانتخب في سنة ١٩٢٧ عضواً في الأكاديمية الوطنية الأمريكية للعلوم .

ونال درجات جامعية فخرية من الكلية الاتحادية ، وجامعة برنستون وجامعة نيويورك . ولكن لا غرو فتوماس ألفا اديسون كما قيل فيه عن حق « قد فاضت عبقريته بالخير على البشرية جمعاء » .

بحث فى السرعة

تدور الأرض حول الشمس بسرعة قدرها ١٠٤٬٠٠٠ كيلومتراً في الساعة ويتحرك النظام الشمسي داخل الفلك بسرعة قدرها عدة مئات الألوف من الكيلومترات في الساعة الواحدة ومع كل ذلك فاننا لا نشعر بهذه السرعة العظيمة في أثناء حركة أمنا الأرض . غير اننا نشعر بسرعة السيارات والقطر بالرغم من ضآلتها النسبية .

ان في مقدور الانسان أن يقطع سيراً على الأقدام مسافة قدرها ٥٫٤ كيلومترات في الساعة . وفي امكانه أن يقطع نفس هذه المسافة في أثناء السباحة. وفي وسع الراكد المجد أن يقطع مسافة قدرها ١٣ـ١٥ كيلومتراً في الساعة . وأما راكب الدراجة فقد يقطع مسافة قدرها ٦٠ كيلومتراً أو يزيد .

ومن ناحية أخرى فان الحلزون يقطع في الساعة ٠٫٠٠٧ من الكيلومتر في الساعة (٧ أمتار في الساعة) ويقطع الحصان حوالي ١٦ كيلومتر في الساعة ، في حين ان الحمام الزاجل يطير بسرعة تقدر بـ ٦٥ — ١٠٠ كيلومتر في الساعة، ويقطع الكلب السلوقى ٩٠ كيلومتراً في الساعة ، وقد تبلغ سرعة العقاب ١٠٨ كيلومترات في الساعة

وقد توصل الانسان باستخدام الريح أن يقطع في قاربه حوالي ٣٠ كيلو متراً في الساعة

وتطوّرت سرعة القطار منذ عام ١٨٣٥ تطوراً محسوساً فقد بلغت سرعة بعض القطر الأوربية في عام ١٨٥٠ حوالي ٢٥ كيلو متر في الساعة وازدادت هذه السرعة في عام ١٩٠٠ إذ بلغت ١٠٠ كيلو متراً . وفي عام ١٩٣٣ كان قطار هامبورغ يسير بسرعة قدرها ٢٣٠ كيلو متراً في الساعة .

وبينما كانت سرعة بعض السيارات في عام ١٨٩٠ لا تزيد على الـ ١٠ كيلو مترات في الساعة ، إذ بها تبلغ في سيارات السباق حوالي :

٠/ ١٩٥ كيلو متراً في الساعة في عام ١٩٠٥
٢٢٨ » » » » ١٩١١
٣٣٣ » » » » ١٩٢٨
٤٨٣ » » » » ١٩٣٥
٥٠٢ » » » » ١٩٣٧
٥٧٥ » » » » ١٩٣٨

هذا ويقطع الترام في الساعة مسافة قدرها ١٨ — ٢٨ كيلو متراً في الساعة ، وتقطع البواخر عبر المحيط مسافة قدرها ٣٦ ـ ٥٤ كيلومتر في الساعة والقطر السريعة ١١٠ كيلو مترات في الساعة والقوارب البخارية ١٤٠ كيلو متر في الساعة والسيارات ١٥٨ كيلو متر في الساعة . والدراجات البخارية في أثناء السباق ٢٦٠ كيلو متر في الساعة.

وقد أدّى رقي صناعة الطائرات الى تقدّم في السرعة منذ اختراعها في عام ١٨٩٦ بصورة فعلية تقدماً يستحق الاعجاب والتقدير ، فقد بلغت سرعة الطائرات في أوائل الحرب العالمية الأولى حوالي الـ ١٢٠ كيلو متر في الساعة ، وبلغت في أثناء سني تلك الحرب ١٦٠ — ١٨٠ كيلو متر في الساعة . وفي عام ١٩٣٢ كانت تبلغ سرعة بعض الطائرات ٣٦٠ كيلو متراً في الساعة، وبلغت الرقم القياسي ٧٤٧ كيلومتر في الساعة في عام ١٩٣٩ وتبلغ الآن ٩٠٠ كيلومتر في الساعة.

أما الطبيعة فهي تفوقنا سرعة في بعض النواحي التي لا يمكن أن يتصورها العقل . فقد تبلغ :

سرعة الريح العادي	٧ كيلو مترات في الساعة
» أمواج البحر	٥٠ كيلو متر » » »
» التيار	٥٠ — ١٠٠ كيلو متر في الساعة
» الريح القالعة (أوركان)	١٨٠ كيلو متر في الساعة
» الصوت في الهواء	٥١٦٠ » » »

وسرعة نقطة على خط الاستواء ١٦٧٠ كيلومتر في الساعة، وسرعة دوران الأرض حول الشمس ١٠٤د٤٠٠ كيلومتر في الساعة. وسرعة الكهربائية في السلك التليفوني ٤٢٫٠٠٠٫٠٠٠ كيلومتر في الساعة ، وسرعة الضوء ١٫٠٨٠٫٠٠٠٫٠٠٠ كيلومتر في الساعة .

صبري يحيى الخياط

باب الأخبار العلمية

من معجزات العلوم والفنون

الكيمياء تكشف عن النفط «البترول»

لو قال لك قائل خبير « إني إذا فحصت قبضات من الثرى الذي في عقارك ، أمكنني أن أثبت أو أنفي وجود النفط فيه أو خلوه منه » لعراك الدهشُ .

ولكنك إذا عرفت السببَ ، بطل العجبُ. وأساس هذه المعرفة، هو العلم الحديث المسمّى جيوكيمستري Geochemistry ، أي الكيمياء الجيولوجية التي تهدف الى البحث السديد ، عن النفط ، فوق سطح الأرض المديد. إلاّ إنه لم يُسمع منذ بضع سنين ، شيء يذكر بشأن هذا العلم العتيد ، الذي يقضي بتحليل التربة السطحية تحليلا كيميائيًّا لمعرفة احتوائها على النفط أو خلوها منه. وهذا العلم من شأنه أن يفضي لا محالة الى إحداث انقلاب كبير في وسائل استكشاف الزيت المعدنيّ (النفط) في جوف الأرض ، ثم توفير بضع مئات من ملايين الجنيهات التى ينفقها المنقبون عبثاً ، كل سنة ، في حفر الآبار العقيمة .

ومدار علم الكيمياء الجيولوجية هو دراسة الجزيئات الهيدروكربونية الخفيفة التي تنضح من جوف الأرض الى سطحها ، وذلك من أي نبع خفيٍّ للنفط تحت طبقات الثرى. وما فتئت العقبة الكأداء ، كون هذا الدليل القاطع على وجود النفط في باطن الغبراء ، يبدو عادةً ضئيلاً جدًّا فلا يتاح تقديره. وثمة حائل آخر ، هو أن بعض دقائق النفط والغاز ، قد تستهدفُ في خلال فورتها الى سطح الأرض، لتقلبات كيميائية، إما عن طريق التأكسد ، واما بالاستقطاب. وهذا مما يفضي إلى تضارب الآراء في تعيين أيّة الهيدروكربونات التي تتكشف للمنقبين ، تكون ممثلة للعلامات الدالة على وجود منبع النفط .

ولا يزال هذا العلم الحديث يافعاً ، يتطلب تجربة شتى الوسائل الفنية ، والطريقة الحالية المألوفة منها تقوم بجمع نماذج طفيفة من التراب غير الملوّث الذي يوجد على بضع أقدام من سطح الأرض ، ثم تعريض هذه النماذج بطريقة فنية جديدة من طرق المعامل الكيميائية تعرف باسم « طريقة استخراج الغاز بالحرارة المنخفضة » وقوامها تسخين كل نموذج منها حتى يستخلص منه ما يحويه من طفيف الغاز فيجمع . ثم تجري فيه سلسلة من وسائل التبريد . وهذه تفضي الى فرز العناصر المختلفة التي ينطوي عليها الغاز ، بعضها عن بعض فيتسنّى قياس كل منها على حدته . وبهذا الفرز يمكن وزن المواد التي توجد في الكميات الطفيفة جدًّا التي لا تزيد على جزء من بليون . وأغرب ما يمتاز به علم الكيمياء الجيولوجية هو نفي وجود النفط مباشرةً تحت التربة التي تشتمل على المواد الهيدروكربونية . ولذلك ينصح خبراء هذا العلم بمباشرة الحفر في جانب واحد من جوانب المنطقة المبتغاة . وهم يتوخون بذلك أن المقدار الكبير من المادة التي تتصاعد من نبع النفط ، فتطفو على سطح الأرض حاملة المياه والمواد الكيميائية ، تؤلف سدًّا منيعاً لا تستطيع اختراقه جزيئات الغاز ، فلا تطفو على سطح الأرض . أما الغاز الذي يرتفع حينئذٍ فلا بدّ له من الافلات من حول أطراف ذلك السدّ المحكم .

وتتخذ عادةً العلامات السطحية الخاصة بوجود النفط ، شكل هالة غير كاملة فتبين حدود النبع . ويوجد النفط بالتنقيب في محيط تلك الهالة لا في الهالة نفسها . غير أنه في بعض الأحوال قد تكشفت للمنقبين على سطح الأرض ، مناطق هالات متحدة المركز ، تدل على منابع نفط في أعماق مختلفة . وقد أثبت التنقيب الذي أحدث فيما بعد صدق هاتيك التكهنات .

ومن أحدث المخترعات في علم الكيمياء الجيولوجية طريقة المقياس الكيميائي . ويقصد بها دراسة المادة التي تنهل الى سطح الأرض في خلال حفر بئر النفط . فيدلّ هذا التحليل الكيميائي على العمق الذي بلغته المثاقب في ثقب السدّ المنيع الذي يعلو البئر ، ثم انه يتيح التقدير التقريبي لما يجب ثقبه من الأرض حتى يعثر الحفارون على النبع ذاته . ولما كانت طبيعة جزيئات الغاز ، الافلات افلاتاً جانبيًّا من مقرها ، كما تفلت منه رأسيًّا ، اتخذ المنقبون هذه الحقيقة وسيلة لرسم الخريطة التي تبين الموقع الحقيقي للنبع . وذلك عندما يقومون بحفر عدد من الآبار النزحة « الخالية » ثم أن طوائف المواد الهيدروكربونية التي تبلغ سطح الأرض عن طريق شتى الينابيع ، يقومون بمقابلة بعضها ببعض ليتخذوا منها دليلاً صادقاً على السبيل الواجب سلوكها للكشف عن البئر التي أفلتت منها هاتيك الهيدروكربونات

أو اثبات حقيقة خلو منطقتها من النفط . وقد بدأ التوصل بعلم الكيمياء والجيولوجية منذ نحو ١٥ سنة فبذلت المجهودات حينئذٍ في جمع نماذج ضئيلة من الغاز المتفشي في التربة السطحية ، وذلك بوضع أنابيب في الأرض ثم تحليل الغاز الذي يوجد فيها عقب غرزها مغطاة عدة أيام . وكانت هذه الطريقة بطيئة ، غير صالحة للعمل . أما الطريقة الفنية الراقية المتقدم وصفها المستعملة حالياً فقد اخترعت منذ سنة ١٩٣٨ وهي من نتائج مباحث العلماء الدكاترة روزير ومكدموط وبلو وغيرهم .

وما برح هذا العلم يستخدم بخاصة لاثبات اللقايا التي تتكشف من رد فعل الهزات الأرضية ، أكثر مما يستعمل كآلة لاستكشاف المنابع الزيتية . لأن علم الزلازل يمد العالم الجيولوجي بصورة النماذج التي في جوف الأرض واعماقها ، وذلك بتقدير الزمن الذي تستغرقه موجات الهزات الأرضية التي تتولد من انفجار البارود والديناميت في السطح المزمع احداث رد الفعل فيه ، من الطبقات السفلية ، فيكشف عن الجيوب التي قد يوجد فيها النفط . ومباحث علم الكيمياء الجيولوجية على سطح الأرض ، تقدم دليلاً صحيحاً على وجود النفط وجوداً حقيقيًّا في ذلك الجيب أو خلوه منه . وقد نجحت في الارشاد الى مقرّ النفط قبل حفر البئر الأولى ، في منطقة جديدة ، كما أفلحت في تحديد الحدود الصحيحة للمناطق الزيتية المعروفة . وهي المناطق التي كانت تكشف بعد انفاق المبالغ الباهظة في الحفريات ، منتجة كانت أو عقيمة. ولا يخلو هذا العلم في حالته الراهنة من الخطأ. شأنه في ذلك شأن كلّ فن حديث، وكذلك علماؤه ليس في وسعهم تحديد الغور الذي يحتمل وجود النفط فيه ، ولا يمكنهم أيضا التحقق من غزارة النفط وما يدرّه من الأرباح التجارية أو عدم صلاحيته لذلك . بيد أن في طاقتهم تمييز منابع النفط من منابع الغاز ، كما أن في استطاعتهم التكهن بتقدير أهمية النبع الجديد تقديراً تقريبيًّا

وقدّر المطلعون ان المكتشفات التي نجمت عن الهزات الأرضية أسفرت عن نتائج باهرة بنسبة ٣٣ ٪ وذلك في الآبار التي تمّ حفرها . هذا ويتوقع علماء هذا العلم أنهم سيتاح لهم بالطريقة الجديدة التي وفقوا لها الحصول على نتائج حسنة بنسبة ٥٠ ٪ أو أكثر في الحفريات الجديدة . ويعتقد الخبراء أنه عندما تتم التحسينات المنتظرة اللازمة في هذا العلم ، سوف يتيسر تكشف جميع الينابيع النفطية التي ما زالت خافية على المنقبين في جوف الأرض .

وأهم المنتجات التى تستغلُ من النفط هي الوقود بأنواعه وزيوت تزييت الآلات جميعها . إلا أن النفط هو المادة الأولية التي غدت أساساً لعشرات من الصناعات

الجديدة الأُخَر . ولقد لقيت المشتقات الهيدروكربونية ميادين جديدة حتى لمنافعها ومنها أنواع المطاط الصناعي . وهي من بعض الوجوه ، أرقى من المطاط الطبيعي . والنفط قِوام ذلك الكاوتشوك . ومن النفط أيضاً يستخرج كبريت العمود والحامض الكبريتيك والجليسرين وغيرها من المنتجات الثانوية . وبالكيمياء ينتج من الهيدروكربونات مفرقعات وأصباغ وأدوية وطيوب ومركبات عطرية وما شاكلها من المواد . وغازات الأولفين Olefin وهي هيدروكربونات غير مشبعة تستخرج من تقطير النفط تقطيراً اتلافيًّا . وهي وسيلة لإنضاج الفواكه ولتعجيل نموّ النباتات . وقد نجحت هذه الغازات في تعجيل إنضاج الطماطم والليمون الهندي انضاجاً تامًّا ، وفي غير ذلك من الحاصلات الزراعية . وذلك في زمن أقصر كثيراً من المألوف في موسم نموها . ولغازات البيوتن Butene مثل ذلك التأثير الحميد في تعجيل إنضاج ثمار الجوز والخوخ والتفاح والكريز ، هذا إذا غطيت كل شجرة مثمرة منها بخيمة لا يتخللها الغاز ، ثم أطلق عليها قدر طفيف من البيوتن تحت الخيمة مدة ساعة .

هذا وقد تحققت الفائدة التجارية لكثير من المشتقات النفطية التي كانت تُعدُّ من الطرف الكيميائية عند بدء استخراجها . ومنها أوكسيد الاثيلين وهو لا يضر الناس ويستعمل لتبخير التبغ والغلال . ويستعمل الاثيلين ethylene والبروبين propene كمخدرين جيدين . ومع كون أهمية النفط تسمو سنة فأخرى فما برحت طريقة تركيبه من المعضلات التي لم يصل العلم الى حلّها ، إذ يعلم يقيناً الكيميائي الخاص بالهيدروكربونات أن النفط مؤلف من الهيدروجين وجزيئات الكربون ، ومع ذلك لا يجرؤ أيًّا كان على تركيبه تركيباً كيميائيًّا من تينك المادتين . ويسرنا أن نذيع على قرائنا أن فريقاً من نوابغ علماء صناعة النفط في أمريكا ، الذين لا يصبون الى الاعلان عن ذواتهم أو إذاعة مباحثهم ، قد عكفوا على حلّ هذه المعضلة ، ولا يبعد أن يبلغوا أمانيهم ذات يوم فيتاح لهم صنع الهيدروكربونات كما يشاءون ، فيصبح انتاج النفط علماً من العلوم الصحيحة التي تكفل للعالم الحصول على احتياجاته المستفيضة من النفط في كل عصر . والفينول phenol الذي يستخرج من الغازات التي تتصاعد من معامل تكرير النفط ، كثيراً ما يفوق أمثاله التي تستخرج من قطران الفحم الحجري . وذلك في قتل الجراثيم والفطر ، وفي منع العفونة وفي ميادين المطهرات . والنفط هو المادة الأساسية لصنع الخيوط الصمغية الجديدة التي تمتاز بمنع تجعد المنسوجات التي تدخل في نسجها . ومنها الفهنيت الذي يصنع من ذلك الشعر الصناعي وقد ثبت نجاحه وطول بقائه .

تجديد القلب بترقيعه من عضلات أخرى

اخترع طبيبان في كلية جامعة نيويورك للطب طريقة فنية توصلا بها إلى نقل عضلات حية من أجسام الكلاب، واستعمالها بدلاً من أجزاء ميتة من عضلات قلوب الكلاب المصابة بأمراض القلب. وقد أفضى نجاحهما في هذه الجراحة الجديدة الى تفاؤل البشر المصابين بمثل هذه الأمراض.

وفحوى هذا الاسلوب أن تنقل شرائح من عضلات بطون الكلاب وسيقانها ثم ترقَّع بها قلوبها فتشفي أمراضها وذلك في خلال يومين أو ثلاثة ايام فتأوي عقب برئها الى حجرها في منازل أصحابها.

أول مصنع يستخدم الطاقة الذرية لادارة آلاته

سينشأ خلال هذه السنة في إقليم تنيسي بالولايات المتحدة الأمريكية، مصنع تسخر فيه الطاقة الذرية تسخيراً مباشراً لنفع البشرية

ويقول العلماء الذين تستخدمهم شركة مونسانتو الكيميائية لاتمام هذا العمل الخطير الشأن إن الوسيلة التي يتوسلون بها الى أمنيتهم، تقوم بتسخين الغاز بتأثير الذرات الموضوعة في حجرة أخرى مجاورة له ممثلة في قضبان من اليورانيوم عيار ٢٣٥ وحينئذ يسيل الغاز الى حجرة أخرى مركزية حيث يلامس أنابيب مملوءة بالماء فيتولد البخار فينطلق الى تربينة بخارية. وهذه تدير في دورها مولداً لتوليد الطاقة الكهربائية. وعند ما يتم استعمال البخار يُوجَّه الى مكثف حيث يتحول ماء فينقل مرة أخرى بالمضخات الى الجهاز عينه.

سبب زرقة مياه المحيطات

أثبت عالمان أمريكيان هما الدكتور ف. ا. جنكينز أستاذ الطبيعيات في جامعة كاليفورنيا والدكتور باون مدير مرصد جبل ويلسون، أن الاعتقاد السائد أفكار الناس، وهو أن زرقة مياه المحيطات تنجم عن انعكاس زرقة الجو على صفحاتها، لهو اعتقاد فاسد. وذلك بما تبين لهما عند ما كانا يستخدمان أشعة الضوء في اكتشاف الغواصات المتسللة في الأعماق، حيث اتضح لهما أن دقائق الغبار التي تحصى بالملايين التي تحويها مياه المحيط، تعكس ضوء الشمس ثانياً على سطح المياه. بيد أن النور الذي يصعد الى السطح يتم ترشيحه بمروره في عدة أقدام بين طبقات المياه حيث تقوم المياه بامتصاص اللونين الاحمر والأصفر من الضوء، وتترك الألوان الخضر والزرق والبنفسجية فيتحد بعضها مع بعض فتؤلف الأزرق والنيلي. وهو اللون المألوف لمياه أعماق المحيط.

استخراج الزيت المعدني من صخور السجيل

تحصل بلاد السويد على كثير من الزيت المعدني الذي تحتاج إليه ، وذلك بطريقة طريفة هي تسخين صخور السجيل(١) الغائرة في أرضها على عمق ٧٥ قدماً إذ تجذب الأبخرة فتحوّل بالتقطير منتجات نفطية شتى . ويتوصلون الى ذلك بإحداث فجوات صغيرة في الأرض لا يزيد قطر كل منها على عقدتي أصبع وذلك بغية غرز مُسخّنات كهربائية في تلك الفجوات الأرضية لتسخين ما يوجد في جوفها من صخور السجيل تسخيناً يبلغ ١٠٠٠ درجة بمقياس فارنهيت . وهي حرارة شديدة كافية لاستخراج النفط من صخور السجيل بخاراً يتصاعد من هاتيك الفجوات حيث تستقبله آلات مُبرّدة فتصيره سائلاً فيسيل في أنابيب إلى مقار التكرير حيث يتم تكريره على ما يرام .

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد أن بلاد السويد شرعت في تنفيذ هذه الوسيلة الغريبة في ابان الحرب العالمية الثانية إذ كادت تضطرها الظروف القاسية حينئذٍ الى الاعتماد إعتماداً كليًّا على استعمال خشب غاباتها، إمّا وقوداً وإما مصدراً لتوليد الطاقة الكهربائية

وقد أذاع حديثاً الدكتور جوستاف إيجلوف مهندس النفط الموظف بشركة المنتجات النفطية العامة الامريكية ، وذلك عقب أوبته من أوربا أن بلاد السويد استطاعت بتلك الطريقة في خلال الحرب الحالية استنباط ألفي برميل من النفط يوميًّا وذلك الى جانب حصول الشركة القائمة بالمشروع نفسه على نتيجة طيبة أخرى هي انتاج طماطم وخضراوات أخرى فائقة الاحجام من التربة التي تعلو طبقات الصخور المشار إليها التي تُسخّن على النمط المذكور آنفاً . ثم زعم الدكتور إيجلوف أن التربة نفسها سوف تحتفظ ببعض هاتيك الحرارة ٣٠ سنة تمتاز في خلالها بتحسن خصبها .

بنيسيلين صناعي يشفي من السل

أتيح لفوج من أساتذة الطب في كلية كورنيل الامريكية تركيب بنيسيلين صناعي ينتظر التذرع به الى مكافحة الامراض مكافحة حاسمة . وذلك لأنهم يعتقدون بتفوقه على البنيسيلين الطبيعي فيصبح سلاحاً فتاكاً للقضاء على أدواء التدرن الرئوي والانفلونزا وشلل الأطفال ، وغيرها .

عوض جندى

---

(١) السجيل shale حجارة كالطين اليابس

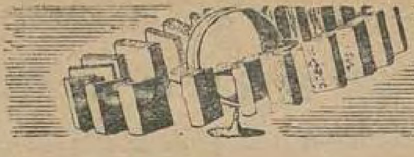

مكتبة المقتطف

ضبط الأعلام

للعالم المحقق المرحوم احمد تيمور باشا : نشرته لجنة نشر المؤلفات التيمورية
١٨٠ صفحة من القطع الكبير ، القاهرة ١٩٤٧

كنت في مجمع فؤاد الأول للغة العربية أساهم في أعماله العلميّة ، وعرضت للمجمع مسألة من أهم المسائل اللغوية هي تسجيل اللهجات المصرية والمبادرة بهذا العمل قبل أن يطغى على هذه اللهجات تعليم الفصحى في المدارس والجامعات ، ذلك بما لدرس هذه اللهجات من علاقة وثيقة بتاريخ الأمة المصرية وهجرة القبائل العربية واستيطانها في أنحاء الوادي ، وبما لدرس اللهجات من علاقة بمقابلة اللهجات المصرية بلهجات الجزيرة العربية ، تحقيقاً للعلاقة الواقعة بين قبائل العرب الاصلاء والعرب المستوطنين في وادي النيل .

وشهد هذه المناقشة الأستاذ نلّينو رحمه الله ، فقال انه يعلم ان للمرحوم احمد تيمور باشا بحث في هذا الموضوع اطلع على شيء منه وانه من البحوث الفذة في اللهجات المصرية وعلاقتها بلهجات القبائل المستوطنة ، وأشار على المجمع أن يستأذن في نشر هذا المخطوط وانتهى الأمر عند ذلك .

أما وقد تألفت لجنة لنشر المؤلفات التيمورية ، وظهرت باكورة أعمالها بطبع كتاب «ضبط الأعلام» ، فقد تقدمنا إذن خطوة كبيرة في سبيل الانتفاع بما خلف ذلك الرجل العظيم الذي ضحّى بماله وصحته في سبيل العلم ، وظلّ طوال حياته عاملاً في صمت ، منتجاً في خلوة ، شأن العلماء الذين يذكرهم التاريخ ولم يعرف عنهم أهل زمانهم إلاّ النزر اليسير .

وكتاب «ضبط الأعلام» من الكتب التي يندر أن يوجد لها مثيل في المؤلفات العربية ، فإن نطق هـذه الأعلام يكاد يكون على ألسنة الأدباء والقارئين رطانة لا تفهم ولا تمت إلى أصل الاسم بشيء . فهذا المعجم الأدبي التاريخي من المؤلفات التي لا يستغنى عنها أديب أو طالب أدب أو مؤلف يتحرى الدقة في ضبط الأعلام التي تعرض له .

رحم الله تيمور باشا فقد خلف لهذه الأمة العربية في آثاره ما لا يبليه كرّ الجديدان .

١ — أبو ذر الغفاري

للأستاذ عبد الحميد جوده السحار

لجنة النشر للجامعيين — ١٥٢ صفحة من الحجم المتوسط

هذا كتـاب من كتب السِّيَر أجاد إخراجه الأديب الشاب الأستاذ عبد الحميد جوده السحار ونال من الذيوع والانتشار ما حدا بالمؤلف إلى طبعه أربع طبعات في أقل من أربع سنين .

أما محور الكتاب فهو أبو ذر الغفاري الصاحب الزاهد الذي ما أصاب مالاً إلاّ بدده في فعل المعروف وما عهد إليه في كنز إلاّ وزعه على بسطاء الحال وأدنياء القوم . ما غلّ يده قط أمام فقير عضّته الحاجة بنابها، وما عرف الترف والثراء في دنياه، ولو شاء لدانَ له الجاه وبدر الذهب .

ومبعث زهد أبي ذر إيمانه بالله وثقته بسابغ رعايتـه لخلائقه ، ولذلك لا يفتأ يوزع الخيرات كلما ترامت إليه ، غير ضنين بها ولا مؤثر نفسه على سواه ، فضلاً عن دأبه في دعوة رفاقه وأترابه ومواطنيه الى الاحتذاء به في بسط اليد والحنوّ على المعوزين .

جاءه من يقول له : « انك امرؤ ما تبقى لك ولد » فأجابه إجابة الواثق : « الحمد لله الذي يأخذهم من دار الفناء ويدخرهم في دار البقاء » .

هذه لمحات كالأطياف من حيـاة أبي ذر الغفاري الذي عنّ للأستاذ السحار أن يلقّبه «بالاشتراكي الزاهد» وينسب إليه الدعوة إلى نشر الاشتراكية في صدر الاسلام والترويج لهذا المذهب الاجتماعي قبل أن يعرفه اقتصاديو القرن التاسع عشر ويجعلوا له صفة التقديس، ولمبشريه صفة التأليه .

ومهّد السحار للسيرة بمقدمة عن الاشتراكية في العصر الحديث والاشتراكية في الاسلام وقابل بين الاثنتين مؤكداً أن الثانية لم تأمر بإلغاء الملكية واستخدام الناس جميعاً في أعمالٍ لحساب الحكومة بأجورٍ متساوية وإنما قضت بتقريب الشقّة بين الناس بغير مدعاة إلى مصادرة الأملاك أو إلى معاملة الأفراد على قاعدة واحدة لا يدخل في حسابها الحكيم والجاهل والصحيح والمعتلّ .

٢ — الامام علي بن أبي طالب

للاستاذ عبد الفتاح عبد المقصود

الجزء الثاني — لجنة النشر للجامعيين — ٣٠٧ صفحات

في العام الماضي أخرج الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود الجزء الاول من كتاب « الامام علي بن أبي طالب » فإذا به سفرٌ ضخم ينطوي على مجهود رائع لشابٍ لم يتح لي أن أقرأ له أو عنه من قبل . أسلوب راوية ممتاز ، وطريقة تحليل جميلة وتقصٍّ تاريخي — إن لم يسعني الحكم على مدى دقته — ففي وسعي الحكم على مدى شموله ووفرته .

واليوم يطالعنا الأستاذ عبد المقصود بالجزء الثاني لذلك السفر ، عامرٌ بصفحات التاريخ وصفحات الحياة في إطارٍ بيانيّ ينمّ عن تمكن واقتدار ، وإطارٍ فني يفصح عن ولع المؤلف بصاحب السيرة واستخلاصه مواطن العبرة والشهامة من تعاريج حياة ابن أبي طالب .

بيد أن مما يأخذ بانتباه القارىء أن الأستاذ عبد المقصود ، وإن كان قد استطرد واسترسل في سيرة علي بن أبي طالب ، غير أن هذا التوسع أفضى الى أن يشغل عثمان القدر المعلّى من السفر الثاني حتى كان يحقّ للمؤلف أن يطلق على الكتاب اسم عثمان لا علي دون أن يغير حرفاً واحداً مما جرى به قلمه .

أما الانطباع العام الذي صانته مخيلتي بعد الفراغ من تلاوة كتاب الأستاذ عبد المقصود ، فهو أن المؤلف قفز فجأة من عالم المجهول إلى عالم المعلوم والتبريز ، فلم نعرف عنه أنه تدرّج في معارج الأدب فابتدأ صغيراً واطرد نموّه حتى اكتمل ، ولكننا رأيناه ناضجاً دفعة واحدة ، يزاحم الأعلام من كتّاب السِّيَر في مجالهم .

٣ – ديوان الطلائع

الأستاذ أحمد محمد جمال

دار الكتاب العربي بمصر — ١١٢ صفحة متوسطة

يبدو لي أن صاحب هذا الديوان مقتّر .

فهو من شعراء الحجاز المعاصرين ، وهذا الديوان أول نتاج شعري له ينشر في وحدة واحدة ، ولكنه مع ذلك أبى أن يطلع القارىء على جملة ما قرضه من الشعر ، واقتصر على أن يقول في مستهل كل قصيدة إن المنشور منها في الديوان بعض من ٢٥ بيتاً أو ٤٤ بيتاً أو ١٥ بيتاً . وهكذا . ولسنا ندري ما الحكمة من طبع القصائد في الديوان إذا كانت تورد مبتورة هكذا يضيع أكثرها « في بطن الشاعر » أو في أوراقه الخاصة التي لا تمتد اليها يد القارىء المتلهف على معرفة شيء عن أدب الجزيرة ، ذلك الأدب الذي ظلّ مقصيًّا به عن التداول العام حقباً طويلة .

* * *

إن استعداد الأستاذ أحمد محمد جمال ، كما يبدو من نظمه ، لا بأس به ، فما كان يضيره أن يقدّم لنا قصائده كاملة لنحكم لها أو عليها ، بل إن هذا كان من شأنه أن يُعلي قدر أدبه ويزيده جمالاً . وهو — على كل حال — متأثر إلى حدٍّ كبير بشعر شاعر المهجر إيليا أبي ماضي . وقد حاول تقليده في بعض قصائده ، واقتبس فقرات وآراء منه في منظوماته .

وأجمل ما في الديوان — في رأيي — قصيدته التي نعتها « بمرآة الماضي » فهي فريدة في بابها في النظم والنغم . ومن خير ما فيه كذلك تلك الحكم الشعرية التي ترجمها عن الانجليزية ترجمة تكاد تطابق الأصل . وإن كان مما يعاب كثرة الخطأ المطبعي في الأصل الانجليزي المدرج في الديوان .

أما ما عدا ذلك ، فهو شعر يتفاوت جودة وتوسطاً .

وديع فلسطين

١ — مسرحية الأب

للكاتب السويدي سترندبرج ترجمة الاستاذ وديع فلسطين

بالرغم من أن أدب كل أمة منذ فجر النهضة الاوربية قد مرّ أو يمر بهذه الأدوار — الكلاسيكية والرومانتيكية والرمزية والواقعية ... — إلاّ أن الباحث المدقق لا يعدم خصائص مميزة لأدب كل أمة تميزه الى حدٍّ قريب أو بعيد عن آداب الأمم الأخرى رغم أن أسس النهضة الأدبية في كل أوربا تكاد لا تعدو أدب الاغريق واللاتين .

وخصائص الأدب الاغريقي القديم انه كان يمثل الصراع بين رغائب البشر على الأرض وقضاء الآلهة في السماء وأدب اللاتين تكاد تستغرقه مشاعر الحب والهيام أما أدب أمم الشمال وهم الجرمان وسكان اسكنديناوه فيتميز بالكلف بالحياة في تفاصيلها الدقيقة وكأنما همته البحث عن السر المختفي وراءها وقد وقف الأدب الانجليزي موقفاً وسطاً بين أدب اللاتين وسكان اسكنديناوه هذا بينما الأدب العربي في الشرق أبان حضارة العرب في القرون الوسطى كان طابعه الذي يتميز به هو حب الحياة مكتفياً بجمالها الواقعي عن خلق مثُل عُليا للجمال .

والكاتب السويدي أوجست سترندبرج يعالج في مسرحيته الفذّة « الأب » التي قام بترجمتها الى العربية الأديب النشيط الأستاذ وديع فلسطين موضوعاً من صميم الحياة الواقعية بل هو يعرض لأبرز صورها وهي الحياة العائلية فيعرضها عرضاً واقعياً بحتاً وهو يضع في يدك خيطاً رفيعاً جداً من خيوط هذه الحياة المتعددة النواحي ثم يدفعك شيئاً فشيئاً في بساطة متناهية وأنت لا تحس واذا بك في نهاية المسرحية دهشٌ غاية الدهشة تحاول التخلص من الظلمة المخيفة المحيِّرة التي دفعك إليها المؤلف فلا تستطيع ويضاعف من حيرتك وإحساسك بالألم إن هذه المشكلة هي مشكلتك أنت أيضاً إنها تمسك في الصميم بل وكل وليد من بني البشر — انها قصة عائلة أبرز أشخاصها الزوج (ضابط مسن) والزوجة وابنة — أراد والداها إن يكملا صباها المتفتح بالتعليم فاختلفا على شيء بسيط غاية البساطة هو اختيار المدرسة فيأخذ الموقف يتعقد والفتاة في حيرة شديدة ، وأخيراً تنحاز لجانب أمها . ولو كان مؤلف هذه القصة أديباً من أي أمة أخرى غير اسكنديناوه لجعل هذا الموقف وحده العقدة التي

تبنى عليها المسرحية ثم تقود الى الخاتمة المحزنة ولكن ستراندبرج ككل أدباء الشمال مغرم بالخفايا والأسرار فغاص الى ما هو أعمق وأخطر لقد صممت الأم على أن تنتصر في المعركة بأي ثمن فلتحطم إذن في يد الزوج سلاحه وحقه في السيطرة على مستقبل الفتاة فرمته بأن الفتاة ليست من صلبه. !! وهنا تميد الأرض تحت أقدام الزوج ويبدو لنا هملت جديد هملت عصري قد يكون في كل بيت ولكنه لا يدري بنفسه إذ لم تكشف له الظروف بعد قناع الخداع ... إننا نقرر أن أدبنا في أشد الحاجة الى أمثال هذه الآفاق الجديدة فهو يسير ويدور في جادة مطروقة فالجديد الطريف نادر وان إبسن ومترلينك وستراندبرج وغيرهم من أدباء الشمال الذين أثروا أبلغ الأثر في الأدب الأوربي الحديث لا يجوز أبداً أن تجهلهم لغتنا العربية وكما وفق المترجم في الاختيار فقد وفق الى حد لا بأس به في الترجمة.

٢ – كتاب روح وريحان

تأليف الأستاذ أحمد أنس الحجاجي

من المسلم به أن الزعماء تخلقهم البيئة مع استعداد خاص في طبيعتهم وأن أثرهم في البيئة أيضاً لا ينكر وكان لا بد لمصر التي تركز فيها كل تراث الحضارة الاسلامية منذ سقوط بغداد والتي وقفت أمام العالم كله تذود عن هذه الحضارة وهذا الدين أبان الحروب الصليبية ، نعم كان لا بدَّ لمصر وهي للآن ما خلا المدن الكبرى تعيش حياة لا تختلف كثيراً عن حياة المجتمعات الاسلامية إبان القرون الوسطى أن تظهر فيها شخصية تمثل هذه البيئة وتتمثل البيئة فيها. وكان لا بدَّ أيضاً أن يكون عماد هذه الشخصية في حركتها هو الشعور الديني الذي كان ولا يزال أقوى المؤثرات في المجتمعات الاسلامية

نعم اننا لا ننكر ان المدن المصرية تكاد تكون قطعة من أوربا أو هي تسير في هذا الطريق وان الخطوط المرسومة لمستقبل الأمة المصرية تهدف إلى هذه الغاية ولكن لا تزال كتلة الشعب العظمى بعيدة عن هذا الهدف .

وقد توفرت ظروف سياسية ساعدت على ظهور هذه الشخصية ونعني بها شخصية

الأستاذ حسن البنا مؤسس جماعة الأخوان المسلمين أكبر جماعة دينية منظمة في الشرق الاسلامي، بل وأكبر جماعة منظمة عرفها تاريخ هذا الشرق — ففي الوقت الذي توزعت فيه قوى الزعماء، وفي الوقت الذي كثر فيه التنابذ في جو السياسة المصرية حتى تعذر تمييز الخبيث من الطيب تلفت الشعب وبتعبير أدق جمهرته العظمى المتدينة فوجدوا رجلاً يضرب على نغمة لا يملكون الآن الاستجابة لها وهي نغمة الدين ولم يتوان الرجل عن انتهاز الفرصة التي كان يعد نفسه لها وينتظرها فقفز الى صدر الصفوف

ومن يطالع كتاب «روح وريحان» الذي يرسم صورة واضحة لحياة هذا القائد منذ شبابه بل طفولته يجد شخصية تكاد تكون صورة لأولئك القادة الذين ظهروا على التتالي في التاريخ الاسلامي ... فحسن البنا والمخلصون من جماعته لا يختلفون كثيراً عن جماعة الشراة والاباضية تحمساً لمذهبهم ، وحسن البنا والمخلصون من جماعته لا يقلون عن هؤلاء الدعاة الذين هدم بهم أبو مسلم الخراساني دولة وأقام دولة، بل ولِمَ نذهب إلى أمس البعيد وأمامنا مثل حي اليوم وان كان في غير العالم الاسلامي ؟ هل يختلف حسن البنا وجماعته في حماسهم الذي لا يحد وإيمانهم الجارف عن جماعة الصهيونيين ؟ وإننا لنتساءل أما كان واجب العالم الاسلامي أن يوجد هذه الجماعة لو لم توجد لتقف أمام الصهيونية بأطماعها وأحلامها وإيمانها ! وهل يفلّ الإيمان إلاّ الإيمان والحديد إلاّ الحديد ؟ إن سياق حياة هذا الرجل في كتاب « روح وريحان » يعطينا صورة صادقة كل الصدق عنه وهي غاية في البراعة والجمال ، وأن الرجل الذي عاش حياته متحلياً بهذه المبادىء الخلقية الرفيعة التي طُبع عليها ويريد أن يطبع عليها الملايين لا بد وأن يكون شيئاً يحسب له ألف حساب في تاريخ هذا الشرق. واعتقادي أن رسالة الاخوان وحسن البنا بالذات ستُبرز للملأ أقوى مقوماتها يوم تصطدم الصهيونية بمقدسات المسلمين اصطداماً مسلحاً في فلسطين التي يعتبرها مؤسس الاخوان جزءاً لا يتجزأ من الوطن الاسلامي الذي لا يتفاضل في نظره جزء فيه عن جزء . وللأستاذ الحجاجي الشكر على ما بذل من جهد وعناء في هذا الكتاب .

محمد فهمي

١ — الغرر التاريخية في الأسرة اليازجية

للاستاذ عيسى اسكندر المعلوف — جزآن من القطع الوسط —

طبعا بالمطبعة المخلصية بدير المخلص قرب صيدا (لبنان)

للعالم المؤرخ الكبير الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف آثار روائع وبحوث طليّة في التاريخ والأدب ، امتلأت بها مجلته « الآثار » وكثير من المجلات العربية في مصر وسوريا ولبنان والمهجر ، وكنت قد علمت منه حين وفد على مصر عند اختياره عضواً بمجمع فؤاد الاول للغة العربية أن من الموضوعات التي توفر على بحثها وأعدّ العدة لإخراج مؤلف كبير عنها — تاريخ الأسر الشرقية . . . والأستاذ المعلوف اذا بحث موضوعاً وهبه من عنايته ومن موفور اطلاعه ومن معلوماته الواسعة ، ومما تهيأ له جمعه من نوادر المخطوطات ما يجعل للموضوع قيمته النفسية .

* * *

وكان من نتيجة الفكرة التي أخذ بها نفسه وعمل على إبرازها أن وضع كتاباً قيّماً في تاريخ الأسرة اليازجية التي اشتهر كثيرٌ من أفرادها في عالم الأدب ، وارتفع صيتهم في سمائه وخلدت اسماؤهم .

والكتاب المخطوط الذي وضعه الأستاذ المعلوف عن هذه الأسرة ضخم ، ولكن المؤلف نشر منه فصولاً مختصرة في مجلة « الرسالة المخلصية » ومن ثمّ أخرج هذا البحث المختصر على حدة في جزئين ، الاول منهما ويقع في ١٢٨ صفحة تناول فيه تاريخ الأسرة اليازجية العربية الأصل الحورانية المنبت وقد هاجرت الى حمص في نحو القرن الخامس عشر للميلاد ونشأ منها كتّاب لولاة حمص فلُقّب جدهم الأصلي باليازجي وهي كلمة تركية معناها « الكاتب » ثم صار هذا علماً للأسرة ، وقد تفرّع من هذه الأسرة فروع كثيرة اختص المؤلف في كتابه بالبحث الفرعَ اللبنانيّ منها . ثم ترجم لمشايخها العلماء أمثال المشايخ عبد الله وناصيف وحبيب وخليل وابراهيم ثم أولاد الشيخ ناصيف وإخوته مع ذكر آثارهم

الأدبية المطبوعة والمخطوطة . ولكل منهم فضل لا ينكر وبخاصة الشيخ ناصيف والشيخ ابراهيم .

وقد تناول المؤلف في الجزء الثاني — ويقع في ١٤٣ صفحة — تاريخ أصهار هذه الأسرة وبناتهم وأسباطهم ... وفي هؤلاء من ارتفع صيته الأدبي كالشيخ سليمان الحداد وولديه نجيب وأمين الحداد .

والكتاب المطبوع — على اختصاره — موسوعة ضمت الكثير من أخبار المترجم لهم وأشعارهم ونوادرهم وما قيل من المراثي فيهم ، وهو مرجع له قيمته في تاريخ الأدب العربي في القرن الماضي ... فالقارىء يتنقل بين ألوان شتى من الطرائف التي لا يضنّ الأستاذ المعلوف بالجهد الكبير في سبيل جمعها وتيسيرها ، وعسى أن يوفق قريباً الى نشر هذا الكتاب بالحجم الذي وضعه المؤلف .

* * *

٢ — جمال الدين الافغاني

آراؤه . كفاحه . أثره في نهضة الشرق — للاستاذ قدري حافظ طوقان —
٣٨ صفحة من القطع الوسط مطبعة بيت المقدس بالقدس

حياة جمال الدين الافغاني وآراؤه لن يفرغ منها الزمان ، ولن يقف البحث فيها عند وضع كتاب أو كتابين أو عشرة ، لأن حياته كانت بعثاً للشرق ، وكانت تعاليمه ضياءً للشرق ، وكان لتلاميذه أثر بارز في نهضة الشرق لأنهم استمدوا من روحه ومن مضائه ومن جرأته ودعوته للاصلاح القوة التي نقلت الشرق من حال إلى حال .

ولقد قرأت الكثير مما كتب عن هذا المصلح الشرقي الكبير ، والمحاضرة التي ألقاها الأستاذ قدري حافظ طوقان في النادي الرياضي الأدبي بنابلس وفي القدس وغزة واللد إحياءً لذكرى الافغاني بمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته . ثم طبعها بعد ذلك ، هي على وجازتها من أمتع ما كتب عن الأفغاني وتحليل آرائه وعرضها . والأستاذ طوقان من علمائنا النوابغ عرفه قراء المقتطف منذ سنوات وعرفوا فيه قدرة الباحث العالم مع مقدرة

أدبية وغيرة شرقية تجلت في كتابه « تراث العرب العلمي » الذي أصدره المقتطف منذ سنوات .

وقد تناول الأستاذ طوقان في محاضرته أو في رسالته آراء الأفغاني وكفاحه وأثره في نهضة الشرق فبين كيف كان هذا المصلح يتمنى نبذ الخلافات الدينية ونبذ التعصب الديني وانه كان يؤمن بالحق ولا يقف دون رأيه حائل أو رهبة ، وكان يؤمن بحقوق الشعوب في أن تحكم نفسها بنفسها .

* * *

ولعلّ رده على اللورد ساليسبوري حين عرض عليه عرش السودان إبان ثورة المهدي من أبرز سمات قوة هذه الشخصية ومتانة خلقها وترفعها ومعرفتها للحق والجهر به فقد قال الأفغاني للورد : « تكليف غريب . وسفه في السياسة ما بعده سفه . اسمح لي ياحضرة اللورد أن أسألك : هل تملكون السودان حتى تريدوا أن تبعثوا اليه بسلطان ؟ مصر للمصريين والسودان جزء متمم له » . ولعلّ هذا هو منطق الحق الذي تنطق به مصر الآن تجلى على لسان مصلح الشرق منذ ثلثي قرن

وعرض لرأيه في العلم الصحيح والتمدن وما يجب أن يؤديا اليه وأن العلم الصحيح والمدنية الصحيحة هما الوصول بالعالم الى السلام والرخاء لا السعي في سبيل الاستعمار الذي هو التخريب في رأيه من قبيل أسماء الأضداد .

وانتهى الى أن الأفغاني أصبح الآن فكرة باقية ومعنى خالداً . . . فكرة الثورة والنضال ، ومعنى التضحية والكفاح في سبيل الشرق وخلاصه ، وكرامة الشرق وإعلاء كلمته .

وان رسالة الأستاذ طوقان عن الأفغاني لجديرة بالقراءة لأنها جلت لنا حياة المصلح بما يلهم الشباب العمل في سبيل المجموع وتقدمه والتضحية بالذات في سبيل الرأي والمبدأ والغاية العالية .

حسن كامل الصيرفي

١ — من وراء الأفق

ديوان شعر : ١١٠ صفحة من القطع المتوسط ؟ دار المعارف : القاهرة ١٩٤٧

٢ — معرض الأدب والتاريخ الاسلامى

بحوث متفرقة في الادب والتاريخ : ٢٣٤ صفحة من القطع الوسط مطبعة الاعتماد : القاهرة : ١٩٤٧

كلاهما من قلم الاستاذ محمد عبد الغنى حسن

صديقنا الأستاذ محمد عبد الغني حسن من أدباء هذا الجيل النابهين ، جمع بين ملكة الشعر وملكة النثر ، فهو في شعره نسيج مرقق من ديباجة السابقين ، وفي نثره طابع بذاته من الجزالة والسهولة . فأنت من شعره في أفق يصلك بالحاضر كما يصلك بالماضي ، ومن نثره في جوٍّ ريِّق ، لا تخدشك فيه خشونة بعض الأساليب القديمة ، ولا تفاهة بعض الأساليب الحديثة ، فقد جمع بين الدقة في الأداء والدقة في الأداة .

ولست هنا في مجال التقرير والنقد للأثرين الأدبيين ، وإنما أعرض هنا عرضاً لنواحٍ من فن الأستاذ المؤلف تنويهاً بفضله ، على أن نعود مرة أخرى الى نقد الكتابين نقداً أدبياً مستفيضاً بعد الفراغ من درسهما

في ديوان من وراء الأفق « قصيدة وقفت عندها طويلاً ، وهي أبيات خوطب به البحر ، ولست أعلم أحبّي للبحر هو الذي أغرى بي أن أقف عندها هذه الوقفة أم براعة الشاعر في خطابه الى ذلك العالم الأزلي :

وقفت بالبحر أستوحيه أشعاري   فهل درى البحر أنبائي وأخباري ؟
يا واسع الصدر ! أسراري مكتمة   فهل تصون صباباتي وأسراري
وبي من الشوق ما لو كنت تحمله   لصرت مشتعل الأضلاع بالنار
لا أنت يا بحر تشفي من لواعجنا   ولا نسيمك ، وهو العابر الساريّ .

ووقفة أخرى عند قصيدة « أين أنت »

هذي بواكير الربيع فأشرقي   في فسحة الأفق البعيد المطبق
قلبي تبرّم بالشتاء فهيِّئي   لي مقعداً عند الربيع المورق
والقيد أعياني وعض جوانحي   واعتادني أرق الفؤاد فرفقي
من لي بأجنحة العقاب لعلني   يوماً أحلّق في الفضاء المطلق
أنا من أضافته الهموم تنفسي   من كربة السجن الكئيب الضيق
ما الأرض من وطري ولا هي داري   كيف المقام على الضرام المحرق

ويكاد يخنقني مشوب عبيرها من لي بروح من مقبلك النقي ؟

وتطول بك الوقفات كثيراً في جنبات الديوان .

أما كتاب معرض الأدب فاسم على مسماه ، إذ جمع بين موضوعات تاريخية وأدبية وفنية قلما عرض لها كاتب من قبل . فقصة الأساطير الاسلامية بحث من أطرف ما قرأت ، ثم الشعر في معارك الحروب ، ورثاء الزوجات في الأدب العربي ، والى جانب هذا فصل عن انجلترة في نظر سائح عربي .

ولهذا الكتاب وجهة قومية عربية واضحة المعالم بينة القسمات محصلها ما قال المؤلف في المقدمة « نحن في المزدحم العالمي اليوم مقبلون على أمور جسام . فمن الخير للعرب أن يستخرجوا مواطن العزة من أمسهم ، ليأخذوا الأهبة ليومهم وغدهم . ومن الخير لورثة العرب حضارة وثقافة أن يستعرضوا ماضيهم في ضوء التحقيق والانصاف ، لا في بهرجة المبالغة والاسراف . فذلك أجدى عليهم وأنفع لهم ، حتى يكونوا من بناة الخير الذين اذا ورثوا المجد القديم صانوه وأتموه ولم يضيعوه ، وإلاّ صحّ فيهم قول القائل .

اذا المجد القديم توارثته بناة السوء أوشك ان يضيعا

مجلة ” الضاد “ الحلبية

تصدر عدداً خاصًّا عن فوزي المعلوف

أصدر صديقنا الأستاذ عبدالله يوركي حلاق رئيس تحرير مجلة « الضاد » التي تصدر في حلب عدداً ممتازاً من مجلته في عام ١٩٣٥ عن الشاعر النابغ المرحوم فوزي عيسى المعلوف بمناسبة مرور خمس سنين يومذاك على وفاته . وفي أول العدد كلمة رائعة لأمير شعراء الأسبان فرنسيسكو فيلا سباسا عن فوزي المعلوف قال فيها إنه « كأنبياء التوراة علق ربابته على غصن صفصافة لتعزف على هوى الريح ناطقة بما في لغة الطبيعة من نبرات خفية تهمس بها الألوهة » .

ويلي ذلك ملحمة شعرية للشاعر الفقيد مؤلفة من أربعة عشر نشيداً تنطق بإبداعه وإلهامه وترادفت بعد ذلك كلمات وقصائد لأدباء العروبة تصور مجالي العبقرية في الشاعر وتبين الخلال الحميدة التي تميّز بها .

وليت الأستاذ عبدالله حلاق يعني بأن ييسّر للمصريين الحصول على هذا العدد الممتاز من مجلته « الضاد » لأن الشاعر صاحب السيرة من الشعراء الذين يجب أن يكونوا غير مجهولين في ربوع مصر فضلاً عن سائر الأقطار الناطقة بالضاد ، ولا سيما لأن هذا العدد الممتاز فيه عن الشاعر المعلوف ما لا يتسنى للباحثين المصريين معرفته عنه .

فهرس الجزء الاول

من المجلد الحادي عشر بعد المئة

١ مآثر العرب على الحضارة الحديثة : اسماعيل مظهر

١٦ الوردة (قصيدة) : شاعر البراري

١٧ المدرسة المثلى والتعليم الذاتي : شريف النشاشيبي

٢٧ الحمامة الطائشة (قصيدة) : عدنان مردم بك

٢٩ الحرب تؤدي الى الحرب : ع ش

٣٤ نظرة شاملة تشرف على أنظمة الحكم في العالم : ادوار مرقص

٤٣ أسباب القلق الدولي ، الاستعمار : الحائل دون سلام العالم : لسعادة عبد الرحمن عزام باشا : ترجمها عن الانجليزية وديع فلسطين

٤٩ الطعام والهضم : الدكتور عبده رزق

٥٧ المخترع العالمي توماس اديسون

٦٠ بحث في السرعة : حمدي يحيي الخياط

٦٢ باب الاخبار العلمية ☆ الكيمياء تكشف عن النفط (البترول). تجديد القلب بترقيعه من عضلات أخرى . أول مصنع يستخدم الطاقة الذرية لادارة آلاته ، سبب زرقة مياه المحيطات . استخراج الزيت المعدني من صخور السجيل . بنسلين صناعي يشفي من السل : عوض جندي

٦٨ مكتبة المقتطف ☆ ضبط الاعلام . (١) ابو ذر الغفاري . (٢) الامام علي بن ابي طالب . (٣) ديوان الطلائع : وديع فلسطين (١) مسرحية الاب (٢) كتاب روح وريحان : محمد فهمي (١) الغرر التاريخية في الاسرة اليازجية . (٢) جمال الدين الافغاني : حسن كامل الصيرفي . (١) من وراء الافق (٢) معرض الادب والتاريخ الاسلامي — مجلة الضاد الحلبية

١—٣٥ ملحق

رحلة الى مصر

في عهد محمد علي باشا الكبير

لمحمد رضا